

دكتورة نغمات احمد فؤاد

الحمد لله كتاب الشيخ

دار الشروق

أعبد كتابه النافع

الطبعة الاولى

يونيو ١٩٧٤

دارالشروق

القاهرة : ١٦ جواد حسنى ت ٥١٢١٤ برتيا : شروق القاهرة
بيروت : ص. ب ٨٠٦٢ ت ٢٢٣٨٢٨ برتيا : دائشروق بيروت
جسدة : ص. ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برتيا : شوركورب جدة

دكتورة نعامت أحمد فؤاد

أفيد كتابه التاريخ

دار الشروق 

من مؤلفات الكاتبة

* شخصية مصر

* النيل في الأدب المصري

* قمم أدبية

* أدب المازني

* في بلاد الجميلة

* خصائص الشعر الحديث

الغلاف للفنان مصطفى حسين

مقدمة

فى هذا الكتاب مواجهة فاحصة للمفاهيم الخاطئة فى تفكيرنا ، للأوضاع الدائمة فى حياتنا بالتحليل والاستقصاء والغوص عن الاسباب الجذرية ... فطالما كتبت عن شخصية مصر وكتبت فى انسحاق الهزيمة ، اتعبد أن أجلو إيجابيات هذه الشخصية وعطائها فى ماضيها الطويل لأعطى الأمل للنفس المصرية ، وأنفض بعضاً من أحمال وأوحال اليأس التى رزحت تحتها حتى كادت تختنق كمداً وهواناً

أما وقد أنجابت الظلمات وتنفس الصبح فلا ضير بل لأبداً من كشف السلبيات لا شهوة فى النقد أو السادية أو تحطيم أشخاص فإن هدف المصرى العابد أكبر من هذا وأكرم وأرفع ... ملاك الأمر عندي ألا تتكرر المأساة إذا لم نستفد من الأخطاء ، وننتب عن الخطايا ... وهنا تكون المواجهة ضرورة وفرضاً ...

ان أى حاكم لا يقع الجرم عليه وحده ، ولا بالقدر الأكبر لأنه لولا من يتبل الجور ما كان من يجور . ولهذا ينصرف أغلب ما فى هذا الكتاب من النقد ، الى الشعب لأن الحاكم عادة فى البداية يكون متهيباً يتلمس مواطن رضاه فلما وجدته يتهافت عليه ويفرق فى محبه ثم تأليه ، استخف به ...

ان هذا الكتاب صيحة في وجه هواة الملق ودق الطبول ، الذى بدأ بالفعل نفاقهم الرخيص لا فى الظهور بل فى النـمـو والاستفحال ... الكتاب صيحة في وجه من نظموا الكواكب عقود مدح بالامس ، ويعاودون الكرة اليوم بلا خجل ... حتى لا يؤذوا حاكمها لديه الاستعداد للإصلاح والصالح .

هذا الكتاب يتغيا مصر وحدها ... مصر البسيطة السمجة المؤمنة المعطاء دون نظر الى الالوان والمذاهب والايديولوجيات المختلفة فما احبت مصر يوما التمثذهب او التطرف الى اليسار او اليمين وكل من حاول صبغها بلون صارخ او صاخب نفرت واستعصت عليه .. وسخرت منه فى النهاية حين يجد نفسه بعد الجهد والعناء يقف وحده وهى فى مكانها لا تريم .

لقد حاولت الدولة الفاطمية ان تمكن لنفسها فيها مائتى سنة ثم دالت الدولة الفاطمية فقلبت مصر الصفحة وكان لم يك بها شيء اسمه الشيعة والشيعةيون ...

وجاء دور الدولة الايوبية لتحاول فلم يكن نصيبها من تتبع مصر اوفى حظا من غيرها ...

لقد آمنت مصر بالاسلام فى صورته الاولى المصفاة التى توافق طبيعتها هى .

وآمنت بالمسيحية ، قبله ، بطريقتها هى نصارت المسيحية فيها دون غيرها من البلاد ، قبطية .

هذا هو موقف مصر من الاديان فكيف الحال مع من لا يرقى الى هذا الافق الاعلى ؟ مهما اختلفت اسماء .

مصر هى مصر وكفى .

وأنا في هذا الكتاب في كل كلمة .. في كل نبضة مصرية وكفى ..
لها .. وعنهما .. ومنها ينبع رأيي وسخطي ورضاي ... فلا
أعرف غيرها ولا أدين بعد الله وكتبه ورسله إلا بها ... أرى
الأشياء والأفعال والمعاني من خلال رؤيتها هي على مسار تاريخها
الذي درستته ، ودينها الذي اعتنقته ، وأدبها الذي عشته وفكرها
الذي سافرت فيه بالعقل والروح .

من هنا كتبت فصلا ضافيا عن الدين .

ومن هنا كتبت فصلا عن الفن .

لأن مصر لها في الدين والفن مفهوم خاص وافق أرحب ..

ومن هنا ناقشت الأفكار الثابتة أو المفاهيم الثابتة التي نتوارثها
بدون نقاش أو اقتناع أو اقتناع . وغير هذا أسلوب مصر في الأخذ
والعطاء ...

ومن هنا وقفت عند الدعوة إلى الدولة العصرية لأرثى الضوء
على خطاها في الطريق الذي تختار بعد روية وتفكير .

فالكتاب في فصوله كلها يدور ، شمعة ، حولها .. يستوحىها
الفكرة ، ويستهديها المعنى ، ويفسح لها الطريق لتسير .

بنور من الله

ونخر من العلم

وهدى من الدين

فما رشحت مسيرتها يوما إلا بكشف من هؤلاء .. وعطاء .

ومن هنا نريد :
الدين لله
والوطن للجميع
والعمل لذى الخبرة فيه
والأمر بيننا شورى
ليصلح آخرنا بها صلح به أولنا .. وهيئات أن يصلح الله
ما بنا حتى نصلح ما بأنفسنا .. وكيفما نكن يول علينا ..
هذا الكتاب مرحلة أخرى من الرؤية لشخصية مصر ..
في محاولة موصولة للوفاء
بها
ولها
فאלلهم اشهد ... ٩

دكتورة نعمات احمد فؤاد

أعجبوا كتابه التاريخ

مهما كتب الكاتيون أو تحدث المتكلمون عن (العبور) فلان الأذن تسمع وتقدر وتعى لان العمل صنيع شعب ومولد أمة من جديد... ورد اعتبار لا عن هزيمة عسكرية فحسب ولكن عن جيل كامل كان يعيش ولا يحيا .

(العبور) بارادته ، وإدارته ، وأعجازه كان رد اعتبار عن حقبة من الفسولة والقمءاء والعجز الاضطرابى فلم تمارس ملكات الشعب المصرى وطاقاته قدراتها الحقيقية حين اسقط من الحساب وعجز عن الحساب فلم يكن له رأى ولم تتح له فرصة وان كان فى أول الامر أحس بغير قليل من الزهو القومى حين توهم بعد سقوط الملكية ومحاولة الاستعمار ، انه صاحب الامر من خلال مصرية الحاكم الفحة ، فاذا به توسم الخير ، من طيبة قلبه فلما وقعت الواقعة ، أعطى الوعى للرجال حق التخطيط بما علموا ، فأعطى بدوره كل قادر وعالم عطاء كاملا .

وهنا وجد الشعب نفسه ، ووجدته الدنيا حوله ، على حقيقته عندما أتحت له الفرصة ، واشترك فى الرأى واضطلع بالعمل...

وهو درس من دروس (العبور) يجب أن نعيه ونتخذة منطلقا لالوان أخرى من العبور فى نواحي حياتنا كلها .

وهنا نقول : أعيدوا كتابة التاريخ .

توقفوا عند انجازات الطوب والاحجار واسألوا أنفسهم عما وراءها ان كان وراءها شيء له قيمة باقية ... فليس الحاكم مقسولا لنقيسه بما تم على يديه من بيان وصروح مما قام في الحقيقة على اكتاف « الانفار » و « الفعلة » الذين رماهم بؤسهم او خوفهم ففرضت عليهم لقمة العيش المرير ان ياتمروا بأمره ليسبح في عرقهم ولو غرقوا صرعى .

ان العصر التاريخي أو عصر الحاكم يجب ان يقاس بقيمة الانسان فيه ... هل قال الفرد كلمته أو عبر عن رأيه ؟ هل فيه حرية وأحرار ومفكرون ؟

ولناخذ تجربة قريبة من تاريخنا الحديث ... في العشرين الاخيرة من القرن التاسع عشر وفي الخمسين الاولى من القرن العشرين كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطاني الذي قلنا فيه الكناية من اوصاف السوء ، ويحق . فلندع التشنجات اللفظية ونمض في تحليل الظاهرة ...

فقدت مصر حريتها السياسية وهي ليست بالثليلة أو الهينة . ولكنها أيضا ليست انكى انواع الفقد اذا أخذنا في الاعتبار ان الفقد هنا عارض محكوم عليه بالزوال وقد حدث بالفعل بل لعل الفقد هنا لو جاز أن له وجهاً آخر ، يوقظ جوهر الشعب ويحفز عزائمه الى التعامل والعمل في محاولة الخلاص منه ...

في عهد الاحتلال البريطاني وفي أوجه أى في أعقاب فرض الحماية على مصر إراد الجنرال مكسويل بصفته حاكماً عسكرياً عاماً ، أن يفرض الحراسة على أموال المصريين الموالين للخديوي عباس ممن نفوا خارج البلاد فاعترض عليه رئيس الوزراء المصري وقتئذ حسين رشدي بأشياء مستنداً الى القانون العام الذي ينص على أن الحراسة لا تفرض الا على **الاعداء وفي زمن الحرب** .

وحين عاود الجنرال اللنبى المحاولة عام ١٩٢٢ بالنسبة لسعد
زغلول وصحبه اعترض عليه هذه المرة رئيس الوزراء الانجليزى
نفسه لويد جورج !!

ولكننا عام ١٩٦١ بعد نصف قرن تقدمت فيه الدنيا ، فرضت مراكز
القوى على مصريين الحراسة بشكل هبجى للارهاب المادى
والمعنوى . وجرى من المآسى والمخازى ما سجلته (لجنة
الاقتراحات البرلمانية) التى تشكلت عام ١٩٧٢ .

هذا عن حرية العيش . اما حرية الراى ففى عهد الاحتلال
البريطانى نادى لطفى السيد **بالمصرية** ، ونادى طه حسين بحرية
الفكر والتحلل من الغيبات والهالات الصناعية نحيط بها كل
قديم لمجرد القدم حتى ولو كان صادرا عن غير أصحابه
الظاهرين ... ناقش طه حسين الشعر الجاهلى فى عقلانية
وانفتاح كما ناقش مستقبل الفلسفة فى مصر ... ولا أريد أن
أقول أن كل كلمة قالها صواب محض فليس هذا هو المهم ولكن
**الهام والأهم هو مبدأ حرية الراى والتفكير والقول والكتابة
والنشر ...**

عبد العزيز غهمى وجد من نفسه وعصره ، الشجاعة ، على
الجهر باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ... ومرة
أخرى أقول انى لا أرى التصويب أو التهجين فى هذا الراى
ولكنى أرى أولا حرية صاحبه فى اعتناقه والدعوة اليه .

على عبد الرازق تكلم وألف عن اصول الحكم .

أمين الخولى تكلم عن مصرية الادب والتفسير النفسى للقرآن
والبلاغة الحقيقية .

العقاد والملازنى انهالا على أدب التشريفات والمدائح التسولية
وامتهان كرامة الانسان والفنان بالتبعية والتقامؤ والنفاق .
انهالا على النظرية العتيقة المقدسة « بيت القصيد » .

الدكتور منصور فهمى ، مصيبا أو مجانبيا للصواب تكلم عن
حرية المرأة فى الاسلام .

الدكتور أحمد أمين تكلم عن أدب المعدة وأدب الرأس
والعقل ... وتكلم عن العامة وأمثالها ومضامينها وجذورها
ودلالاتها .

تكلم عن الحياة العقلية للعرب فى فجر الاسلام وضحى الاسلام
وظهر الاسلام بما يشكل موسوعة جامعة .

محمود عزمى والتابعى استقنا السهولة والخفة والسرعة فى
الكتابة ، والزيات دافع عن البلاغة ..

ارتاد الحكيم والملازنى وهيكلا واضرابهم طريقا القصة
والرواية والمسرحية .

ترجم محمد بدران وزكى نجيب محمود قصة الحضارة .

نزل أحمد فؤاد « صاعقة » على ألوان الفساد الموجودة فى
أيامه وكانت مساهمة النديم ...

ألف إبراهيم عبده (الطور فى متحف الخزف) .

صدرت فى حقل الثقافة ، مجلات البيان والرسالة والثقافة
والهلال والمقتطف ولواء الاسلام .

لم تترك الرسالة بلدا عربيا الا حفاة بل لقد كانت المحالة
الوحيدة التى يقرعونها ويكتبون فيها حتى لقد كان السوريون

يسمون يوم الثلاثاء الذى كانت الرسالة تصل اليهم فيه ، يوم
الرسالة ، ولا يقول قائلهم يوم الثلاثاء

كما كان الاديب من كتاب الرسالة عندما يزور بلدا عربيا ،
لا يميزونه باسمه بل بهذه الصفة فكان كتاب الرسالة فى هذه
الظاهرة كأهل بدر .

كانت الكتابة فى الرسالة شهادة للكاتب ترفع من اسمه وتعالى
بين الكتاب مكانه .

كانت الرسالة مدرسة ربت جيلا وربطت شعوبا ووصلت
بلادا ووثقت علائق ونهجت سبلا . كانت ريادة ومشعلا وسفارة
لصر لم تعمل عملها السفارات .

ومن الغريب أو العجيب أن الرسالة والثقافة اللتين ولدتا
وعملتتا بانفتاح ومقدرة فى ظروف عاصفة جثم فيها الاستعمار على
حياتنا ، احتجبتا فى عهد الاستقلال ! : الرسالة فى فبراير
عام ١٩٥٣ ، وقبلها « الثقافة » فى يناير عام ١٩٥٣ !!

وقامت بعدهما مجالات عدة تتعلق باسمهما تشبيها ، أو لعله
تبركا ولكن واحدة لم تغن غناءهما أو تعمل عملهما أو تقف وقفتها .

لقد كانت الرسالة تخوض المعارك معارك الراى والوطنية +
وبعض هذا: مقال الزيات المدوى (فلاحون وأمراء) على أثر اهانة
الأمير عمرو إبراهيم لأحد الاعضاء المصريين بنادى محمد على
ومقاله (الامتيازات والدين) ...

وحين نزع السادة أمراء ذلك العصر ذهب جمعهم الى محمد
محمود باشا رئيس الحكومة وقتئذ فنظر اليهم فى شموخه المعروف
وقال لهم : أنا معه بل ذهب الى القصر مهتاجا ..

وارتطم صاحب الرسالة بالقصر بعد هذا في مقاله (ليس بعد الدين وازع) على اثر زواج فتحية من رياض غالى ... وفزع القصر لولا ان توسط في الأمر محمد حسن يوسف وكيل الديوان وقتئذ ..

وهكذا كانت الرسالة مجلة أدب وثقافة ومبدأ وهدف واسلوب وغاية ...

والى جانب الرسالة والثقافة كان مجلة (الهلال) تعنى بالتاريخ ، و (المقتطف) يحتفل بالعلم و « الكتاب » يحتفى بالأدب ، و « الكاتب المصرى » تعنى بالترجمة ، كانت هذه المجلات تهتم بالفكر وكانت الصورة الجديدة لمجلة « البيان » التى صدرت سنة ١٩١١ .

ماذا بقى لنا ؟

أو ماذا عندنا ؟

عدمت الريادة يوم عدمت الحرية الداخلية وكانت موجودة بل سبابة محققة والحرية الخارجية مكبلة ترهتها انجلترا ، وتجرحها الامتيازات الأجنبية . اليس هذا عجيبا ومذهلا ؟

ومن الغريب اننا حين اطلقت الحريات لم يوجد الكتاب الاحرار لان الكتاب لم يترسوا في شهابهم بالحرية فلما فتح بابها عليهم لم يفتح عليهم القلم بشيء !!

ماذا حدث ؟

تشارك كل شيء في مصر أى صار اشتراكيا !! لا عن عقيدة اذن لساغ الامر ولكن عن مداهنة . فاستاذ الاقتصاد كتب عن الاشتراكية .

- وأستاذ التاريخ السياسى كتب عن الاشتراكية .
- وأستاذ التاريخ الطبيعى أيضا كتب عن الاشتراكية .
- والادب كتب عن الاشتراكية .

حتى علماء الدين كتبوا عن الاشتراكية !

الكل التقط مانشيتات الصحف وراح يرددها فى ببغاوية مضحكة
الضحك الذى يوصف بأنه كالبكاء .

تعدى السلطة أمريكا فتسحب العداوة فى درجات السلم
الهرمى على كل ما هو أمريكى حتى الفكر والثقافة مع أن الدين
يقول بأخذ الحكمة ولو من أهل النفاق، ويطلب العلم ولو فى الصين .

وقبل هذا عادت الملكية ، الشيوعية ، فاذا بكل ما هو روسى ،
منفر يثير الذعر حتى القصص على عالميته ...

رسمت قومية عربية ، فسار الكل وراءها يرددون
كأنها حلقة ذكر غير أنها لم يذكر فيها اسم الله أو اسم
الوطن ...

مسخت حياتنا مسخا مشوها فلا هى الى الشرق ولا هى الى
الغرب .. فصبت من الماضى وعزلت عن الحاضر .

غامت الرؤيا وانبهم الهدف

ان رواد الخمسين الاولى وأعلامها ، لو تأملنا مسيرتهم ، نجد
أن فترة الخصب العقلى والابتكار عندهم فى أعمالهم ، كانت
العشرين أو الثلاثين سنة التالية لفترة التحصيل أى التى تقع بين
الثلاثين والستين .

فماذا صنع شباب الخمسينات من هذا القرن ؟ داروا فى الساقية
أو انخرطوا فى الطاحون .

ضاع البريق •

لا رأى يهز ، ولا فكر يجسد ، ولا ابتكار يرتاد ، ولا جدية تنال ، ولا اسم يتألق .

سادت الوصولية والانتهازية والبيفساوية والحرباوية ...
وبالطبع الأمية .

وكانت النتيجة أن ضاق كل شيء بكل شيء كما يقول نجيب محفوظ حتى الضيق ضاق بالضيق ...

وهنا لم يملك الأدب إلا الرمز ليعبر عن تمرده أو يبريء ذمته ولو بأضعف الإيمان .

فماذا وراء الرموز ؟

فتح الأدب بنكا للقلق ... يقول توفيق الحكيم « في وعي » ما من أحد الآن في حالة طبيعية لأن القلق منتشر بل سائد بشكل وبائي عند كل الناس حتى الذي يملك مائة فدان يعيش في حالة قلق !

لماذا ؟

في بنك القلق أكثر من جواب :

« ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » .

« كل إنسان في حاجة إلى أن يتكلم وأن يصيح وأن يوافق وأن يعارض » .

« كل ما يخشاه — الإنسان — هو أن يرغب على قبول شكل في الحياة يسجنه » .

« أصبح الواحد منا يتخبط اليوم في بحر واحد من قلق شامل لا يطلق » .

« - الانسان المصرى المعاصر - يعيش فى مجتمع هئس ليس
بداخله ايمان حقيقى بشىء أكثر من اقتناص المغنم ! » .
مجتمع برجوازى داخل قهاط اشتراكى .

والشباب . . . « الشباب أغرقوا أنفسهم فى كل بلاد العالم
فى خبط الجاز والروك أندرول والخنافس وما شابه ذلك من ألوان
الضجيج والحركة العنيفة والأصوات المزعجة ! . . ليواجهوا خبط
الكبار فى ضجيج الحرب والقمع والمؤامرات والمخابرات ! صخب
عام فى حانة كبرى ، ضمت الكبار والصغار . . . وان اختلفت
ادوات الزياط وألوان الخمر ! »

بنك القلق اذن « مكان للتنفيس . . . رئة يخرج منها الزفير
الفاسد ! خير من أن يكتم هذه هى جوهر فكرة هذا
البنك » .

وهدف بنك القلق (ترك الناس تتكلم . . . أقصد إتاحة الفرصة
للزبون يفضى بكل ما فى صدره . . يكشف عن بواطن نفسه
عن أسباب قلقه . . .) وقد تكلم توفيق الحكيم نفسه فى (شمس
النهار) و (السلطان الحائر) ولو أن دور سلطان العلماء الشيخ
عز الدين عبد السلام فى التساريخ أكبر وأرسخ من دوره على
المسرح .

والفنان وسط هذا الزحام (هو الوحيد فى القرية الذى أدار
ظهره لحركتها الدائبة ، وانفلت من المحاريث السائرة والنوارج
الدائرة والسواقى الناعرة وذهب الى شط القرعة يقطع سيقان
البوص ويصنع منها مزامير . . .)

ولكن المزامير وحدها لا تكفى . . . وقد أحس الفنان نفسه
بهذا لأن الامة المطحونة لا يطب لها الفناء وحده . . . بل انها

ففي حاجة الى من يعيش مشاكلها وينفّض همومها بالتعبير عنها
وطرح علاج لها وتنفيذه ... ولهذا دخل الالعب في مرحلة جديدة
لم تخطئها حتى عين العدو فيها يقرم به من دراسات على الادب
العربي بعد عام ١٩٦٧ مما فصله كتاب الهلال « الادب الصهيوني
المعاصر » .

في الستينيات بدأت القصة المصرية تتحول عن الواقعية الى الرمزية
وسفرت هذه الظاهرة بشكل خاص عند الروائي الاديب
نجيب محفوظ الذي يمر الآن بمرحلة جديدة من مراحل الفنية .

نجيب الآن مباشر يركز على الحوار المتشعب بالافكار الفسوفية
التي تتواكب في توال كطرقات المارقة النشيطة في أسلوب مبدع
الفاظه شوكية في قصته (ثرثرة فوق النيل) .

هل بعد الضياع عذاب ؟ (فيا اي شيء افعل شيئا فقد
طحننا اللاشيء) .

في قصة نجيب محفوظ ظاهرة هروب المثقفين الذين يعون
حركات التاريخ لا الى العوامة وحدها ولكن الى شريط التاريخ
القابع في رؤسهم . وهي ظاهرة ملموسة اليوم في ادبنا القصصي
والمرحى — فيفرون محفوظهم أو يستعرضون الشريط كلما
تشابهت المواقف أو الظلمات وكأن الأمر (توارد خواطر) .

مجمود الروتين وبلادته وتحجره في غباء ، وعيئه في لا مبالاة ،
يورث الدوار . وفي (غيبوبة الدوار تختفي جميع الأشياء الثمينة ...
من بين هذه الأشياء الطب والعلم والقانون والكلمات المشتعلة
بالحماس) وفجأة يتذكر الانسان جرائم المهالك الذين كانوا
(يطلقون الحى ويثرون الغيار ويفرحون بالابهة والتعذيب) .

ولكن البغاة راوا ... انداحوا ... وبقيت مصر ... مصر
البسطاء الذين يقومون بالأعمال التي تبدو بسيطة وهي في الواقع

ملك الأمر وسره . فهي كالعوامة والرجل البسيط كعم عبده هو كل شيء . . انه العوامة ، لانه الحبال والفناطيس واذا سها عما يجب ، لحظة ، غرقت وجرفها التيار .

ما هي الاسباب التي حولت طائفة من المصريين الى رهبان ؟ والسؤال هنا استقطب الزمن ليصل الى مصر المسيحية حين اليأس من عدالة الارض والليهد يكنف السماء ثم الصحراء

في القصة عملية تشريح للأخلاق والسمات والأقنعة الخارجية التي سقطت الواحد تلو الآخر في قاع النيل .

نفى القصة سخرية من المظاهر والاطارات والشعارات والتقاليد .

سخرية من سقوط الفلسفة .

سخرية من التمثيليات الهانفة .

سخرية دن موقفنا من الأحداث وكأننا (أحمد نصر) أو عم عبده الذي يطل على المعمة من أعلى البرافان على سبيل الخرجة أو التسلية .

سخرية من النفاق .

سخرية من لويس السادس عشر الذي لا يدري شيئاً عما يدور في الخارج .

سخرية من الفزاة الذين يتحلون بقسوة حادة كالدرع .

سخرية من الهاربين من لاشيء الى لا شيء والمقتولين بالسم البطيء والقاتلين على السواء .

سخرية من المخبرين الذين يراقبون المفيقين لا المساطيل .

سخرية من المتعالمين (ذرية علماء النحو) .

سخرية من (أخذ الأصوات في ديمقراطية دامية)

سخرية من الخوف من كل شيء حتى يفدو صاحبه لايخاف شيئاً .

، سخرية من العوامة التي تشيع فيها النكتة كحركة تفضية نفسية
ثم تنعدم حين تصبح الحياة فيها نكتة سمجة ، أشنع تهمة فيها
هي الرجعية . فكل قلم يكتب عن الاشتراكية (على حسين
تحطم أكثرية الكاثين بالافتناء والاثراء وليالى الأئس في المعمورة) .

فساق كل شيء بكل شيء حتى الضيق فساق سرا لأخرب الضيق .

وفي زحام (الثثرة) تبرق هذه العبارات :

(أن السفينة تسير دون حاجة الى رأينا أو معاونتنا وإن التفكير
بعد ذلك لن يجدى شيئاً ، وربما جر وراءه النكد وضغط الدم)

— (نحن نعيش فوق الماء فنهتز لوقع أى قدم) .

— (ليس الانجليز وحدهم الذين يقتلون بالسم البطيء) .

— (راحوا يتساعطون عن كيف يبدأون ، وكيف ينظمون أنفسهم ،
وكيف يحققون الاشتراكية على خمس شعبية ديمقراطية
لا زيف فيها ولا قهر)

— (تدارسوا) العراقيين المتحدية ، والأخطار التي قد تحقق بهم
كمصادرة الأرزاق والاعتقال والقتل) .

— (الخيام الذي كان مدرسة أمسى فندقاً للملذات) .

— (أيها الحكيم القديم « أيو — ور » أقدم بعصرك الذي اضمحل
فيه كل شيء الا الشعر وأسمعنا الغناء . حدثني ماذا قلت
لفرعون . أقبل الحكيم « أيو — ور » وهو ينشد) :

ان ندماءك قد كذبوا عليك
هذه سنوات حرب وبلاء
قلت اسمعنى مزيدا ايها الحكيم ! فانشد :
ما هذا الذى حدث فى مصر
ان النيل لا يزال يأتى بفيضانه
ان من كان لا يملك أضحى الآن من الاثرياء
يا ليقتنى رُمعت صوتى فى ذلك الوقت
قلت ما ذا. قلت أيضا ايها الحكيم (ايبو — ور) فقال :
لديك الحكمة والبصيرة والعدالة
ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد
انظر كيف تتهن أوامرك
وهل لك أن تأمر حتى يأتىك من يحدثك بالحقيقة.

نجيب محفوظ الآن يلتزم قضية شعبه يحس بضغط همومه
ويعبر عنه فنى قصة « ميرامار » عالج انتفاض البسطاء المطحونين
— من خلال زهرة — الذين يعيشون مع الغالبية فى أيام (منحوتة
من العسر والصخر) . «الايام التى تسبق مباشرة يوم القيامة» ...
كشف الادعاء فان كثيرين من محترفى السياسة والاهمية
والمشغولية كسرحان البحيرى (لا يعرف الفارق بين الوفد والنادى
الاهلى) ... كسرحان لا يهتم فى فى أعماقه بالسياسة رغم نشاطه
الموفور فيها أو كشعبان بنك القلق (اشتراكى مائة فى المائة !
وان كان بينى وبينك لا يعرف ما هى الاشتراكية) .
نفاق ومتع كما يقول نجيب محفوظ أو (اشتراسمى) كما
يقول الحكيم فى « بنك القلق » ...

والأجيال عند نجيب محفوظ في « ميرamar » متواكبة فهي يكمل بعضها بعضا ولولا الجيل السابق لما تحقق للجيل اللاحق وجود ...

وهو مذمور من فكرة مصادرة الثروات لأنه يؤمن بأن من يقتل مرة قد يعتاد القتل ...

ان الجنة عنده (هي المكان الذي يتمتع فيه الانسان بالامن والكرامة أما النار فهي ما ليس كذلك) .

وحين تغيم في عينه الأشياء يتساءل :

« البحر يترامى تحت سطح أملس باسم الزرقه فأين العاصفة الهوجاء ؟ والشمس تهوى الى المغييب مرسله شعاعا ماسيا يلتحم بأهداب سحائب رقيقة فأين جبال الفيوم ؟ والهواء يلعب سعف النخيل في غابة السلسلة بمداعبات شفافة رقيقة فأين الرياح الهوج المزلزلة ؟ » .

ان التوازن كما يقول (لا يرجع الى الأشياء الا بزلزال شامل)
(اننا نتدهور معا بأكثر مما تصورنا لكننا سنخرج من التجربة كالمعدن النقي

وأعطى نجيب محفوظ هذه الفترة (اللص والكلاب) ، (والسيمان والخريف) ، (أولاد حارتنا) ، (تحت المظلة) وقصته القصيرة (الطبول) طبول الرحلة العقيمة والمستفيضة وأخيرا (الكرنك) .

وفي السبعينات أخذ احسان عبد القدوس ينتمى الى مدرسة نجيب محفوظ الرمزية ... مدرسة ثرثرة على النيل ، و (ميرamar) و (روبايكيا) ... بدأ يخدم الرمز شفافا وكثيفا في قصة « رصاصه واحدة في جيبي » ومسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص) .

مصر عند نجيب محفوظ في قصة روبابيكيا مطمّح الجميع ومطمّح ولكنها في النهاية تسحقهم وتحيلهم الى حطام ملقى في عربة روبابيكيا ، وتتخطر هي على النيل جميلة مشرقة متأقنة شبابها أخضر دائيا وعودها ريان . رأسها شامخ وجمالها فتان .. محاسنها تغرى وتسبى ولكن الويل لمن تحدثه نفسه بالاقتراب منها .

ومصر عند احسان (١٩٧٢) هي فاطمة الطيبة الجميلة في الثوب الأخضر ... وميمى السمراء الطوة (أجمل واحدة في الدنيا) التي لا يكفيها جمالها ولكنها تبحث عن جمال عقلها وجمال ارادتها ... انها تريد أن تتبدى كما خلقها الله بصباحتها كلها ... بحلاوتها كلها ... بنفاسها كلها ... تعطى الحياة ما تريد ... وتأخذ منها ما تختار لا يطرف عينها شيء ولا يعلو وجهها نقاب أبيض أو أحمر ...

تريد أن تسير في طريقها هي التي تعرفها لا تلتفت الى يمين أو يسار لانها قبل اليمين وقبل اليسار ، بالوف السنين ، لها مسار .. ولها أسلوب شخصية .

وتستطيع أن تعرف فاطمة من نوعية حب المؤلف لها انه ليس حبا خاصا يتعلق به وحده .. انه حبا جميعا لان فاطمة هي مصر ...

(فاطمة حبيبتى ... انك لا تستطيع أن تتصور مدى حبي لفاطمة ، ولا كيف أحببتها . انه حب تضعف أمامه الكلمات ... بل أن فاطمة وأنا لم نكن نتصور ان ما بيننا اسمه حب ... انه احساس ولدنا فيه ... انه الحياة نفسها ...) .

هل هذه فتاة محددة ومحدودة ؟ لا ... انها **حلاوة الأبد** في قلب كل مصرى . انها جميع الفتيات وجميع الفتيان .. جميع

الرجال .. جميع الاطفال ... انها الحياة نفسها .. انها مصر ...

أما الشعب المصري في القصة فهو (طالب الفلسفة) الطيب الهادئ الذى يعشق السلام والاحلام والخيال . فهو يحلم دائما (بالملخص) ، ولهفته عليه تجعله يتعلق بكل بارقة أمل تلوح . فما يكاد يرى (عباس) شابا مثقفا هادئا مهتسما دائما حتى هلل له وكبر وتوسم فيه الخير كله ... وتسلل عباس شيئا فشيئا حتى أصبح المشرف الزراعى المسيطر على الجمعية التعاونية ... المفتش ... والجمعية التعاونية هي السلف الزراعية وهي الكيماوى وهي المبيد وهي التراكثور أى أبواب الرزق جميعها ...

ومع هذا أحبته القرية ... وأحبته فاطمة (بأحلامها البريئة وبالخرافات التى تملأ خيالها عن صور المستقبل السعيد) .

ولكن فاطمة بعد أن استولى عليها عباس غدت بلهاء ... في عينيها مأساة . تقف كأنها على حافة بئر تكاد تقع فيها ... فاطمة الجميلة الحلوة الهادئة أصبحت فاطمة الحائرة وجهها مكشود وقلبها مهدود ، وكرامتها مثنخة بالجراح ...

ويتساءل صاحبها الحقيقى الذى يحبها أغلى الحب وأصدقه :

(كيف أعيد اليها شبابها ، ولعة عينيها . كيف أجعلها ترتدى الثوب الأخضر الجميل الذى أحببته عليها دائما كيف ؟)

ومصر في مسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا ارتص) هي الراقصة ميمى انها كالطير يرقص مذبوحا من الألم .. وميمى مجروحة نصف مذبوحة طارت ذراعها ونزف دمها ويريدونها على أن ترقص ويتجاذبوننا ناحية اليمين وناحية اليسار وبينهم من البعد والتناقض ما بين المشرق والمغرب ولكنهما يتفقان على امتصاصهما . وتشقى وتتمزق وتقف لتسقط من الداء والأعياء والحرارة واحساس الضياع والقهر . ولكنهم جميعا يرتدون من عذابها وعطائها

(جلكة مذهبة) حتى « مجاهد » خرج من عندها يرتدى هذه
الجاكت على البنطلون الملهل الذى كان يرتديه . ويسير فى عظمة
ونخامة كأنه أصبح رجلا مهما .

انهم جميعا ومودهم لها هباء ، وقلوبهم خواء ، وعينهم مسعورة
لا تهمل من جمالها وجسدها . وهى لا تطيقهم ما تكاد تقترب منهم
حتى تحس لهم فحيجا تنفر منه السمراء الجميلة (أجل واحد
فى الدنيا) التى تقطر عسلا وشهدا . . . ولكنها نعرف انهم
يمصون عودها وتخشى أن تصير (تفلا) . . . انها لا تصدق
دعواهم الكاذبة . انها لا تريد ذهب هؤلاء ولا مدفع هؤلاء ولا حتى
تقبلتهم الذرية . . . هى تريد أن تحمى نفسها بنفسها وتعطى
نفسها بنفسها . . (الى أقوى منى سيدي . . . نفسى اعيش
من غير سيد) . وحين يوقن « مجاهد » من رفضها لنفسى له .
يحاول أن يتفق مع فؤاد (المطلاتى) الذى لا يصدقها النصيحة
بل يريغ لها من النغمات ما ترقص عليه رقصة الذبيح . . فؤاد الذى
(ينقر على طبلته) أى (ايدلوجية) حتى ضيعت طبلته الجميلة
السمراء ، التى قذفت بها على الارض وحطمتها ، لأنها غررت بها
وخدعتها ، وشغلتها عن البناء ، الحقيقى ، حتى داهمتها الطائرات
والدبابات ، وراحت فى الحرب ذراعها ، وتغلى وجهها الأسير
بالدماء . . .

ويتساءل المؤلف :

(يا ترى نبتدى نضرب اللى ضرب ميمى والا ناخذ ميمى ونرجع
الكباريه الأخضر ؟) .

واتقول :

أبدا لن ترجع الجميلة السمراء الى الكباريه . . ستعود الى
الوادى الأخضر تزرع وتبنى وتصنع وتمجد العلم وتبدع الفن

وتشكل الحجر وتطعم الخشب وتخوض المعركة أيضا ... ستعود
الى الوادى الأخضر ترفع للسلم صروحا ، وللبطولة رايات ...
وفي مجال الرمزية كتب الدكتور يوسف ادريس قصصه :
« حامل الكرسى » و « الرحلة » و « سنوبزم » ...

وكما رمز نجيب محفوظ الى الشعب المصرى ببواب العواممة
الذى لا يعرف أحد بدايته او نهايته ، والذى لا يحسب حسابيه
المتسلطون الناعمون فى العواممة ، وفي قبضته حياتهم ... فى
استطاعته أن يفك الحبل فيغرقهم رمز الدكتور يوسف
ادريس الى الشعب المصرى بحامل الكرسى الذى يتعجب الناس
من قوته وهو بادى الضعف ... ضعف الجسم .

وقصة الدكتور يوسف ادريس « الرحلة » مملوءة بالرموز
الشفافة حينما والكثيفة أحيانا أخرى

والدكتور يوسف ادريس فى قصته « سنوبزم » رمز الى مصر
بالسيدة العنيفة التى تتركب الاتوبيس بين أهلها وناسها فاذا بها
يتحرش بها أثيم ويسىء اليها ، ويحاول أن ينال من وقارها ، بل
يحاول أن ينال من عرضها ! والناس يرون ويتعامون ، أو ،
(يفوتون) أو يهائون الظالم ! وعند هذا الحد انبرى أحد الركاب
وهو دكتور فى الفلسفة (رمز المثقفين) وأخذ يهاجم هذا
الوضع الشائن فسلقوه بالسنة حداد ولكموه لكمة تورمت منها
عينه وقذفوه خارج الاتوبيس !!

وما أكثر الذين قذفوا خارج (الاتوبيس) .

هذا فى الأدب أما الصحافة فقد غدت صحائفها كفضل (البلاد)
كل ينقل من السبورة (السوداء) مما كتب (المعلم) بعد أن
كانت الصحف كساحة البرلمان ميدانا للمناقشة والمعارضة .

تناولت الصحف يوما مرتب وزير العدل ويقرأ عبد العزيز فهمي
عناوينها وهو في طريقه الى الوزارة فيغير وجهته ويأمر سائقه ان
يتجه الى قصر عابدين وهناك قدم استقالته الى الملك فؤاد قائلاً :

— كرسى العدالة يهتز من تحتى ١٠

ولكن جميع الكراسى ظلت ثابتة لم يقلقها شيء حين عزلت مراكز
القوى القضاة بالعشرات ودفعة واحدة لانهم طرحوا رأيا في عريضة .

ماذا يجدى سد أسوان أمام سد الخوف ؟ ان الانسان المصرى
لم يبدع حضارته فى أى عصر الا حين تحرر من الخوف ...

لقد قامت الدنيا فى مصر وقعدت يوم قدم رئيس ديوان المحاسبة
محمود محمد محمود استقالته لأن حقه كتقص فى مراجعة
ميزانية الدولة .. وقامت الدنيا وقعدت يوم أجرى الملك فاروق
تصليحات فى اليخت فخر البحار ، وناقشته الصحافة والبرلمان
علنا لأن تجديد اليخت سيتكلف آلاف الجنيهات فماذا فعلت
الصحافة مع مراكز القوى يوم ضاعت آلاف الملايين ؟ أصابها الخرس
بل ان بعضها وجد فى نفسه الجرأة ، ولا أدري كيف ، فحاول
التغطية أو التبرير بصورة فاضحة !

هوان وصغار .

لم تعد هناك صحافة سياسية

ولم تعد هناك صحافة اجتماعية .. وغدا الكتاب :

كاتب صومعة وهؤلاء قلة يحتاجون الى صبر الرسل ليطبقوا
العزلة والتقصف والمجاهدة .

وكاتب حر يلوذ بالرمز .

وكاتب حرباوى ببغاوى وهؤلاء كثرة لأن مهمتهم سهلة وثمانهم

رخيص .

كانت الصحافة ، صحافة أحزاب نعم .. ولكنها كانت صحافة
راى فى الوقت نفسه .. اما صحافة اليوم فهى صحافة مذهب
وموجات .. او كتابة على ظهور الاعلانات .

بين يوم وليلة تصطبغ ادارات الصحف باللون الأحمر وتنغمس
الأقلام والحروف فى هذا اللون ثم تنحسر هذه الموجة وتضيع فى
غيايات اليم او السجن لياتى مد موجة أخرى بيضاء .. وتقترب
راكر القوى أثناء هذا من دولة ، وتناسب العداء دولة أخرى
فتتعاقب تبعاً لهذا ، الموجتان وكأنهما الليل والنهار ...

وتمذهب تبعاً لهذا الفكر وعلاقات انفس ، بل بلغ الأمر أن
الادب انتم بالميثاق !! كأنه فسرغ من
قضاياها كلها ، وكأنه نال منه الجهد من كثرة الخلق والابتكار فتخفف
من مهامه الكبيرة ليؤلف كاتب عن **مفتاح الميثاق !** .. وما دامت
مكتبتنا المصرية العربية تعتز بالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن
الكريم ، فان كدأبى الزفة ، امعاننا فى التدريس الأبيسى ، وضعوا
معجماً لالفاظ الميثاق !! او مفتاحاً ... ولا احسب أن أحدا طلب
منهم هذا .

وامتألت الشوارع بلامتات القماش المكتوب عليها عبارات
الميثاق لتأخذ على الناس طريقهم .. ولم يفكر أحد
فى كتابة او تعليق آية واحدة من القرآن الكريم حقاً .. كتاب الله .
تحتسى بلا امبراطورية واحس بلا انتصارات .

والتمق بنا النفاق حتى سلمنا به . فنجيب محفوظ يقول على
لسان أحد أشخاصه (يا أمة عريقة فى النفاق)

درس الميثاق فى جميع مراحل التعليم لا تستثنى من هذا
الجامعة حتى كليات الطب والعلوم وكأننا نسهم به فى التكنولوجيا
الحديثة بل درس الميثاق فى كلية أصول الدين !!

وحفظ أطفالنا في المدارس :

أنا عربى أبى عربى الخ .

فنفر المصريون الصادقون من دعوى وادعاء القومية العربية
لا لمحب فيها أو بغض لها ولكن للأسلوب الذى يمس تاريخ البلد
وفي الوقت نفسه لم يصدقنا العرب بل رأى فيها البعض غرضاً
خبئاً ... لم يصدقنا العرب ولم يحترمونا - لأن الذى لم
يحترم مسره أى شرفه وعنوانه مارق أو رخيص .. وكان العرب
يحترمونا قبل هذا ويحبوننا لذاتنا وباعتبارنا مصريين .

قابلنا عربياً كبيراً على الباخرة أسبانيا فقلنا في معرض حديثه
عنها فقدناه من أرض في البلاد العربية : (كان العربى منا يحلم
بأن يكسونه له مربيطة معزة في القاهرة .. وكانت الأرض عندنا
تعرض بعشرة قسروش للمتر مسلاً تجدد مشقياً ..
الآن لا يفكر أحدنا في ادخال ماله القاهرة ... وقد ارتفعت الأرض
عندنا فبلغ ثمنها مئات الأضعاف !) .

كم فقدنا ليشرى الآخرون ويعمروا ويركبوا ظهر الموجة التي
عميت عن الأعماق الزاخرة من رعونتها .

كانت نساء مصر كظباء مكة صيدهن حرام . فإذا بالآلاف من
نساء مصر يدفعهن ذل الحاجة وقسوة الحياة في وطنهن إلى
الخدمة أو إلى ما هو شر من الخدمة مما ترغمن عليه ،
وترغمن فيه ، ملاهى بيروت .

خطب ملك الحيتيين يوماً إلى فرعون مصر ، أميرة مصرية ،
تقرباً إليه ، وكسباً لرضاه . فلم يكتف ملك مصر بالرفض ، بل ثار
ثورة عارمة كيف يتجرأ غير مصرى على التطلع إلى الزواج من
بصرية !

من عزة القوة ، وعز الجاه ما فعل ...

أه لو كان يدرى بمن تزوجوا المصريين رقيقاً، بغير عقد
مكتوب !

وفى غمرة هذا الفت الكتب عن عروبة مصر فكانت
بمحاولتها اللاهثة اثبات دعواها ، تنفيها لا تؤكد لها بما نكشف
من عملية الافتعال لأن البديهيات لا تحتاج الى اثبات . والشاعر
العربى نفسه يقول :

وليس يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل
وفى هذا الصخب لم نقرأ بالطبع كتاباً واحداً عن عروبة الحجاز
لأن النهار كما قلنا أو كما قال الشاعر ، لا يحتاج الى دليل .

وتجاوزت هذه الدعوى الأغراض السياسية الى الكتب المدرسية
بدءاً من المرحلة الأولى الابتدائية ليحفظ الطفل المصرى مع (أنا
عربى أبى عربى) ، خزعات أخرى عن أصل الشعب المصرى !
مع أن الكتب العربية تتحدث عن العرب العاربة والعرب المستعربة
كما تتحدث عن (فتوح البلدان) .

مهما جددت الموارد والمعانى المتداخلة ، فان الحقيقة التاريخية
لا تتغير ولكن يمكن درسها وتقييمها تقييماً صحيحاً فتصبح
العرب مصر ولكننا اذا تخطينا (حقة) الفتح بظروفه وملابساته ،
وجدنا أن الفتح العربى بعد تاريخى أو سياسى ولكن الحرب
الرابعة بيننا وبين العدو الحقيقى ، اسرائيل ، علمتنا أن المنطقة
لها بعد ميتافيزيقى .

ان الأديان محلية .

والسياسات زمنية .

ولكن المنطقة لها منطق واحد وهو أكبر كثيراً من سائرها .

المحليات . لقد نظم الهواة كثيرا عن القومية العربية ثم عن قومية
المعركة ، والخلافات تنمو وتترعرع على رنين الخطب البلاغية
أو العامية فلما جددت الحرب ، ولدت لساعتها القومية العربية
وقومية المعركة معا في ساحة النضال ، مما أذهل العالم بل ادهلنا
نحن أسرة المولود . وتأكد صدق الطائي في فتح عمورية وتبين حقا
أن السيف أصدق أنباء من **المكتب والخطب** .

واتضح للغيريين ما وضع للمشايخين أن المنطقة كل واحد
تختلف أجزاءه اختلافا كبيرا . أو صغيرا كما تختلف الاعضاء
والوظائف في الكائن والكيان . ولكن الروح واحدة لا حياة للجسم
جملة وتفصيلا إلا بها ...

يكفى آصرة الدين واللغة والالم والامل ، بعد **الجوار** لنلتقى
جميعا على **المحبة والمصلحة** في وقت واحد .

ان مصر تخسر الكثير بدون البلاد العربية

والبلاد العربية تكسب الكثير بوقفة مصر معها : **الكلمة** ،
والمكانة والوزن السياسى والحضارى وكفاءة العلم والفن وهى قيم
أكبر كثيرا من أموال الدنيا .

ان الذى يحب مصر **بوعى** ، يحب جيرانها ، لأمن مصر ان لم
يكن لذاتهم ... ولكن (ذاتهم) تستحق الحب والاحترام والشكر
بما أدوا وما بذلوا في نبل وذكاء معا وبلغوا الغاية في الأداء والوفاء .

وفي هذه الغمرة حاول **المنافقون اسقاط الماضى** ، امسأنا
منهم في تعظيم **الحاضر** ! . وفاتهم ان طبيعة الاشياء تنفى وجودها
من العدم . وفاتهم أكثر أن انسانا بلا جذور ، **لقبط** معنويا وتاريخيا
وحضاريا . ولكنهم ارادوا **أمة التاريخ بلا تاريخ** حتى يقترب ميلادها

بظهورهم على مسرح الأحداث وإن كانت الرواية ملهة هزلية
يأبها الطموح ، أو مأساة دموية تقشعر منها الأبدان .

وفي مواكب الربية الصغراء والصغراء، وخفافيش الظلام والملائين
والمدلسين و(صراير المستنقعات) و«أشباح النهار». في هذا الموكب
الغوغائى أحس كل ذى قيمة بالافتراب النفسى والزمانى مهاجر
الكثيرون الى الخارج وكانت مصر وطن من لا وطن له . ونشطت
أمريكا فساعدت على الهجرة أو الاستنزاف العقلى والكيانى
باغراء المسال .. وكم من طاقات وقدرات ضاعت من أيدينا .

يقول الفنان حسين بىكار :

(قد انتقلت عنوى الهجرة من العلماء الى الفنانين وهذه ظاهرة
قد تكون صحيحة لو كان لدينا فائض من الكفاءات نصدره للخارج .
والطيور لا تهجر أوطانها الا عندها تهاجمها الثلوج فتضطر الى
تطع آلاف الأميال بحثا عن الدفء لتبنى هناك أعشاشها) .

حتى المبعوثين رقصوا العودة .. حتى الجامعات التى
نضبت ولم تشهد منصاتها خلفا للرعى الاول ، رأت الهجرة هى
الأخرى فهجرها المتميزون الى الشرق أو الغرب بل هجر استاذ
جاد معطاء الجهد والعقل كالكتور جمال حمدان ، الجامعة الى
العزلة اثارا للانتاج بلا تحطيم .

هرب الكتاب المصرى الى بيروت حيث تجارة النشر والتوزيع
الحر .. وما بقى فى مصر اغتصب اغتصابا وزور وحرف اعتمادا
على سلخانة الروتين فى مصر التى يقف أمام سيادتها ، الناشر
المصرى مع الطابور الطويل ... والى أن يأتى عليه الدور فى
طابور الورق ثم فى طابور التصدير ثم فى طابور النقد ، تكون
بيروت أخذت حريتها وراحتها فى استغلال الكتاب المصرى ،

والربيع ، والاثراء من ورائه ، وأصحابه في مصر تكاد تذهب
أنفسهم حسرات .

واذ هرب الكتاب المصرى الى بيروت ، هرب الفكر المصرى
الى الكويت حيث يتحرر ويحرر مجلة (العربى) ومجلة (الفكر) !
وكانت مصر تربة الأحرار والافكار والحضارات . تهب حركات
التحرير فتؤازرها مصر بالتأييد والتوجيه والاذكاء . ويمتحن الأحرار
فيتطلعون الى اللياذ بمصر . وفيها تحلقت حول جمال الدين الافغانى
الثقوة . واليها قصد الكواكبي . . وبها اتصلت حياة الأحرار ،
وأسباب أصحاب الدعوات .

ان مصر وهى محتلة في أواخر القرن التاسع عشر لم تكف
بالدعوة الى الحرية السياسية في الداخل بل امتدت بها في المنطقة
فالتف السوريون ١٨٨٥ حول الشيخ محمد عبده (يتلقون عنه
دروس العلم والحكمة والخير) ، كما يقول الدكتور أسعد أطلس . .
وأحدث الشيخ محمد عبده في بيروت (انقلابا عظيما) .

بل ان بعض الدعوات السياسية في بعض بلاد الشرق يخطط
لها في مصر . اذ قبل ان تولد باكستان كان رجالها يلمون بالقاهرة
ليضعوا الخطط لتحرير بلادهم . وليس الى الشك من سبيل ، أن
جزءا كبيرا من تاريخ باكستان المعاصر قد كتب في مصر . . وفي
مصر كتبت فصول من قصة تحرير اندونيسيا . . . وكذلك تونس
والمغرب وليبيا والجزائر وكثير من بلاد افريقيا وآسيا .

كما قامت في مصر الدعوة الى الإصلاح الدينى على يد محمد
عبده والمراغى . ومن مصر نبتت الدعوة الى تحرير المرأة اضطلع
بها قاسم أمين وتبعه الزهاوى في العراق .

فاذا تجاوزنا العصر الحديث ، وأوغلنا في القدم بضعة قرون ،
نجد أن مصر بعد غارات المغول والتتار في الشرق ، وحركات الاقترن

فى الغرب (اسبانيا) ، كثرى الرحلة الى مصر وتجمعت للحركة الفكرية فى القاهرة .

وكما حفظت مصر من الضياع آداب اليونان وعلومهم واللى اعتمد عليها العرب فى تكوين شخصية حضارية لهم ، حفظت مصر فى هذه الهزات تراث العرب الأدبى والفنى .

وكما يرتص الطير مذبوحا من الالم ، انطلقت الاغانى فى بلاهة ، تأخذ دورا فى (الزفة الكدابة) . ولا مانع عندها من التمسح بالفلاح والعامل . وما كسب الفلاح والعامل كسبا جذريا وخاصة الفلاح ، فالاصلاح الذى لا ينبع من نفوس أصحابه وبينتهم . . . من داخلهم ، لا يؤمنون به ولا يتعمقونه لانه من خارجهم لم يغير نوعيتهم . . . والدواء مادة ، حتى ولو حمل الشفاء كرية او ثقيل على الاقل . . . وقد فصل هذا طبعنا أنور المفتى فى بحثه القيم فى مجلة (المجلة) التى اختفت فيما اختفى من قيم فى حياتنا . . . ويزيد رجال الاقتصاد أن ما أخذه الفلاح باليمين من الاصلاح الزراعى بددته باليسار مجموعة النعاونيات الزراعية .

ولم تقصر السينما فى هذا المضمار فتخصص بعض مؤلفيها فى تسجيل الامجاد فى افلام يعاد عرضها مرارا كأنها مقرررة على النظارة .

أما المسرح الذى نهض فى الثلاثينات والاربعينات نهضة كبيرة ونشط أيضا فى الخمسينات فانه بعد نكبة الأمة العربية سنة ١٩٦٧ أخذ طابعا سياسيا حتى أنه اشرك الجباهير فى العرض باعتبارها متضامنة فى المسئولية عما يحدث . أو تأكيدا لمسئوليتها خارج المسرح بعد أن ينتهى العرض .

وانيثق عن نكبة عام ١٩٦٧ ، المسرح الغاضب أو مسرح الغضب
الذى دعت اليه مسرحية الكاتب السورى سعد الله ونوس :
(حفلة سهر من أجل حزيان) .



منذ اعتنقت مصر الاسلام وهى حصنه الحصين ولكن الاسلام
فى مصر فى هذه الحقبة استحدثت باسمه هيئات كما
كان المماليك يكثر من بناء المساجد تكفيرا عن خطاياهم أو
تغطية لها وما كان المسجد مبنى ولكنه معنى ونقاء ينهى عن
الفحشاء والمنكر .

وصدرت عدة كتب دينية كتبها اساتذة مختصون فى الدين .
ولكن التخصص المدرسى غير التحليق الثقافى فالىعتاد حين كتب عن
الاسلام كانت كتبه (التفكير فريضة اسلامية) (حجج الاسلام
واباطيل خصومه) ، (ما يقال عن الاسلام) ، العبقريات خاصة
(عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) . ناقش العقائد
الغرب ومشرقيه وناقش القضايا التى يظن بها
الضعف ، فى مواجهة يحجم عنها الكاتبون ، فكان التصدى
طريق الاقناع . . وهو طراز لم تستشرف اليه أو لم تقو عليه
الكتب الحكومية الاسلامية فلم تعمل عملها فى اندونيسيا التى
استشرى فيها التبشير وهى منطقة من مناطق الاسلام بتعدادها
الكثيف .

كيف تدهور كل شىء . . ؟ أى حفرة تردى فيها كل نفيس فى حياتنا ؟
وضعت مراكز القوى نظرية اهل الثقة واهل الخبرة التى تقسم الشعب
الى مدللين ومتهمين . . وهذه النظرية تطرد نظرية الرجل المناسب
فى المكان المناسب . . أو تحرفها فتكسر الميّم وتكسر معها مبادئ
الحق والعدل والكفاءة فاذا بأهل الثقة ، فى أحسن حالتهم ،
حراس على المواقع التى وضعوا فيها لايعرفون مخبرها أو
جواهرها . ولكى يغطوا جهلهم ، يدعون العلم أو الاهمية !

اهم من اشخاصهم. وما فعلوا هل المال يزيد بالجراحة
أم العمل ؟ قصارى الحراسة أن تجهد ولكن العمل يحييه والخبره
تنميه . . وهو ما حدث لنا فالمال العام أما نهب أو تجهد
وتجهت معه الافكار والرجال الخبراء ، لان الخبرة متهمه وغير
موثوق بها وغير مرغوبة .

• وفي غيبة القانون وخيبة الصحافة ، كل شيء ضاع •

ليس معنى هذا أن اهل الخبرة جميعا اظهروا ابرار . . بل من
اهل الثقة من أغنى في موقعه ما لا يغنى غناه ، أحد من
قبل وخاصة أصحاب الثقافات ممن اجتبع لهم
مع الحزم ، العلم وسعة الأفق ولكن ليس على الشاذ قياس .
فالناطق السليم يقول أن البلد للجميع ، وأن الثروة البشرية الممثلة
في الكفاءات أساس نهضة الامم وأن التقدم لا يتحقق الا
إذا كان كل شيء محسوباً . فالانسان الصحيح في المكان الصحيح .
وللقانون وحده أن يحاسب المخطيء وحساباً عسيراً رادعاً له
ولغيره وفي حرية الصحافة ضهان يكشف الانحرافات . . .
ولا أدل على هذا من ٦ أكتوبر . . هل كان يستطيع مدني أن
يخطط للمعركة ويديرها ؟

هل يستطيع مهندس أن يجرى عملية جراحية ؟

لكل مكان انسان لا يملؤه غيره .

وفي أثناء هذه المحن استردت القناة وازدهانا يومئذ الفرح
والزهو . وكان هتاننا طوعياً هذه المرة . ولعلها المرة الواحدة
والوحيدة التي برىء فيها قولنا من الخوف . أو النفاق . ولكن
فرحتنا لم تدم طويلاً إذ تبين أن القناة بدخلها الكبير لم تصب في ريفنا
السدى حفرها وسقتها بسدده ، وإنما صبت في جبال

اليمن الوعرة التى أخذت مع المال ، الرجال ... يعد
أن البنا علينا الشرق والغرب . وصورت النكتة المصرية بذكائها
المشهود ، الجولة بمرارة تقطر دما حين أطلقت بدورها هذا الشعر
(مصر . يمن . كوبا) وكانت مصر منكوبة بحق . كانت منكوبة
بالفشل والهزائم ولم ينتصر (أسما) الا المؤسسات والشركات
التى أطلق عليها (النصر) .

لم يفكر أحد فى الانتفاع بدخل القناة فى تعمير الضفة الشرقية
للقناة .. فى تعمير سيناء مصدر الخطر ودرع الامان فى الوقت نفسه ..
ولو عبرت سيناء (بفيض) و (فضل) الكثافة السكانية فى
الوادي ، وقام عليها البيت ، وفيها الولد ، لعز التفریط فيها
لان الدفاع عنها عندئذ دساع عن العرض والارض ، والرزق
والحياة .. لو عبرت سيناء لما اجتزا العدو على اجتياحها ...
واكتساحها مرتين فى هذه الحقبة المباركة .

لو كان عندنا مراكز دراسة نصرف عليها لعرفنا ان انجلترا عملت
طويلا على فصل سيناء عن مصر بالايعاء وبالفعل منذ عرفت عليها
(براملى) حاكما عسكريا مما يدل على خطر سيناء بالنسبة الى
مصر ، وعلى أن سيناء مطبخ ومطبخ للآخرين . ولكننا ضيعنا سيناء فى
الشمال بالحرب ، كما ضيعنا (جبل عليه) فى الجنوب بالسلم
والصمت ... وجبل عليه — افتعلت انجلترا اقتطاع منطقة جبل
عليه اداريا من مصر سنة ١٩٠٢ — الذى لا يذكر فى كتبنا أو
مدارسنا أو مجالسنا أو صحفنا منطقة اكبر مساحة من سيناء وأغنى
موارد طبيعية . وهى الآن تمثل الأعراف بيننا وبين السودان الشقيق .
وطالما نبه العلماء والدارسون منا الى وجوب العناية القومية
والاجتماعية بهذه المنطقة فلم يسمع لهم أحد ... والعلم ليست
له دولة بل كان تابعا للدولة وأجيرا اذا أراد ... شأنه شأن
القانون الذى أمر بتتبعه للدولة فلما أبى لقي رجل القانون

فى مجلس الدولة بما لاقاه وهو الرجل الذى وضع الدساتير فى البلاد
العربية شرفا وتشريفا لمصر ...

ما الذى شل السنتنا وعقولنا معا ؟

هل هو الجهاز الرهيب الذى كان دولة وحده ، أعلن جمال
نبرد الناصر سقوطها بعد النكسة ؟

هل هو التعذيب والتنكيل ، الذى كان يمارسه هذا الجهاز .

هل هو جهاز الشعارات الرنانة والطنائاة وراءه مراكز القوى
يأخذ علينا شعارنا وأذننا وعيننا وإمكان الجد واللهو على
السواء ؟

هل هو النشيد المصرى والأغنية المصرية التى دخلت حلقة
الذكر ؟

هل هو كل هؤلاء ؟

اجتمع علينا من مراكز القوى القمع والتضليل والزمرد والطلبل بل
الرقص أيضا .

كل شىء ضاع .. كل ما بداخل الإنسان المصرى من كرامة
وقيم ومبادئ وأباء ... ضاع يوم فرضت كما يقول توفيق الحكيم
(الحراسة على مخ الإنسان) .

ولكن توفيق الحكيم ما باله لم يقل هذا من قبل ؟ ان ندمه
اليوم نكاء خبيث أو خبث ذكى .. ما جدوى الاعتراف بالخطأ
فى وقت ليس الشعب فيه بحاجة الى الاعتراف بعد ان سقطت
الأثمنة وظهرت الحقيقة ...

انه مجرد تخفيف للحساب هو قناع من نوع أرقى يليق
بأصحاب « الإنكار » .

لقد كتب نجيب محفوظ الكثير

وتوفيق الحكيم لم يكن مسحورا أو مخدوعا أو (ناقذ الوعي) مع الفاقدين كما يقول بدليل مسرحيته (السلطان الحائر) و (بنك القلق) اللتين لم يثر اليهما عامدا فيما أحسب وهما خير من التعلل بالتخدير والتسحير. ولكن (الحكيم) يغير مسكة (العصا) فيقبض عليها بحكمة من نوع آخر، من (النص) لأنه كما قال، بعد أن حوم كثيرا، من جيل قيدت حريته وتحرره (روابط متصلة بهذا النظام) .

النظام الذى اجتمعت علينا فيه من مراكز القوى المناهج والاذاعة والصحافة والوسائل الاعلامية لتصبنا فى ثوالب مرسومة لنا ليغدو الانسان المصرى انسانا نمطينا كاليونفورم .. انسانا مقيدا بالحشدية ... مسلوب الحرية ... انسان حشد والحشد دهماء منظمة تسوق الى الخراب اذا قادها مثل هؤلاء .

ان الفرد فى حشد كبير ينحط خلقيا واجتماعيا كما يفعل الامريكان عندما يجتمعون لتعذيب الزنوج فيأتون من ضروب الوحشية ما لا يتردى فيه انسان وحده ...

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فقال فى كتابه :
The Undiscovered Self

هو ضياع قيمة الفرد .

الانسان الحقيقى ضاع وسط الانظمة ، الظاهرية والسلطة المهيمنة . مثل هذا الانسان من السهل أن ينقلب الى التقيض لأنه أصلا لم يحقق ذاته ولم يحقق لها استقلالاً خاصاً فسرعان ما يتعرض لتشييق شخصى وثقافى ... وهو ما حدث للمثقفين المصريين على أيدي مراكز القوى .

غباء أن تفبرك العقول والأفكار ... وغباء أن تسوى بين العقول
وقد خلقها الله متفاوتة متباينة الحظوظ من الذكاء ...

أن تفبرك العقول كفر بالدين الذى كرم الإنسان ودعاه الى
التفكير واعترف بارادته يوم هداه (النجدين) وهما طريق الخير
وطريق الشر ... **كفر بكل القيم** ...

لم يعدد العالم مهددا بالكوارث الطبيعية او الاوبئة ولكن
بالتغيرات السيكولوجية كما يقول يونج ... أن أى اختلال يصيب
التوازن فى رأس حاكم من الحكام يلقى العالم فى بحر من الدماء .

ويقول هربرت ريد فى كتابه « فلسفة الموضوية » (من
الصعب ألا تفسد السلطة . هنا تحتاج الى ضوابط نفسية
كبيرة) وهنا نتذكر قوله تعالى (أن الإنسان ليطغى أن رآه
استغنى) والغنى الوان : النفوذ غنى والسلطة غنى .

أما الضوابط النفسية فتعين عليها أمة رشيدة لا عاطفية .
أمة تنتظر الأعمال لتحكم عليها قبل أن تغدق الثناء بغير حدود...
أنه خطانا .. !

لقد أبعدت مراكز القوى الإنسان المصرى من الصورة متمزقة نفسيا
وثقافيا وكاد ينسحق لولا بقية من إيمان حفظت عليه ذاته .. أن
الطريق الى الله صلاة وصبر وعمل ذلك الفيتامين الذى لا يباع فى
الصيدليات ولكن يهبه الله من يشاء من عباده .

أن الحركات الجماهيرية تنزلق فى وهم الأعداد الجماهيرية
ووسط صخب الأغلبية يمكن اختطاف الأمنى بالقوة .

كيف يصنع الديكتاتور .

الانسان الطل هو الذى يعتمد على الحزب أو الزعيم أو الحكومة ... ومن سنا يكره الممتازون التبعية من أى لون ... أما رجل الحشد فينوههم أو يوههم أو يشبه له أن القمة ممثلة في الحزب أو الحكومة تحقق له كل شيء ... حالة وهمية أو الحلم الطفلى .. انه الارتداد الى جنة الرعاية الوالدية ... وعندما يسود الوهم بأن الحكومة على كل شيء قديرة ، يكون الطريق الى الاستبداد ممهدا ، وهنا يكون الاستعباد الفردى لاحقا بالضرورة والمنطق

لقد كان الناس في العصور الوسطى يرون الانسان عالما صغيرا (ميكروكوزم) . microcosm وهى نظرة سلبية تربط الانسان ببيئته ، ودينه ... ولا يمكن لاحد أن يسلب أنسانا ، الله ، ومن حاولوا هذا في العصر الحديث أعطوه لها آخر .

وحيث يتعد الانسان عن الدين يحدث له اضطراب عصابى .
وحيث تتوقف المحبة ويحل الشك توجد القوة والعنف والرعب وزوار الفجر .

ان السعادة والرضا وتوازن النفس وثناء الحياة ، معان لا يمكن أن تخبرها الدولة بل يخبرها الفرد ...

دولة مراكز القوى جهاز يجمع الفرد فان أحسنت اليه فغالبها ،
تعمل على تعضيد أوهام الفرد لأنها لا تبني نظرياتها على فهم وتقهم نفس
الفرد فهي أصلا لم تقترب منه ولم تدرس احتياجاته الحقيقية ...

انها تعرف احتياجاتها هي لاستبقاء السلطة .

والمجتمع الذى يضع فيه الفرد مجتمع متخلف
ولو ملك المال والنفوذ وأحدث الوسائل . ومن هنا أدان
« برناردشو » الحضارة الغربية فى كتابه (دليل المرأة الذكية) ،
وأدان « ديوى » ، أمريكا ، فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة
Individualism old and new.

لقد حاولت أوروبا وأمريكا اللتان نقلدهما سحب السجادة من
تحت قدمى الفرد بالآلة ، والنمطية ، والحركات الحشدية
اجتماعية وسياسية . الانسان الغربى انسان احصائى ...
انسان متوسطات فذكائه من خلال متوسط الذكاء لمجموعته ومثل
هذا يمكن أن يقال عن سائر قدراته . وهل يميز انسانا عن
انسان الا صفة فريدة فيه ؟

حتى الأخلاق حين ضعف سلطان الدين غدت أمورا تواضعية
ما دام الفرد لا يحس بمسئوليته أمام الله . ذلك الشعور الذى
يرتفع على القانون . فقد يستطيع الخاطيء أن يهرب أو يتهرب
من القانون أو يفلت من العقاب ولكن صاحب الحس الدينى ،
السلطة الرادعة فى داخله .

والدين ليس المبادئ الأخلاقية مهما كانت رفيعة ، وليس
العقائد مهما كانت مستقيمة .

ليس هذه أو تلك فكلاهما لا يشكل الأساس لحرية الفرد من
أسر (الحشدية) التى هى المجتمع أو الكتلة ...

والدين الذى أعنيه غير العقيدة . فالعقيدة كما يقول يونج
اعتراف بالإيمان، ولكن الدين علاقة الفرد بالله أو علاقة الفرد
بالتحرر .

ان الولاء لعقيدة معينة ليس مسألة دينية ولكنها فى الغالب
مسألة اجتماعية فلا مفعول له ولا قدرة على منح الفرد أساسا
يستند اليه . . .

هذا حين يتفيا الدين المحافظة على التوازن النفسى . . ان
النفس الشعورية فى الانسان يمكن فى أى وقت أن تعوق وظائفها
بوساطة احداث من الداخل والخارج لا يمكن التحكم فيها . . لهذا
يلجأ الانسان فى القرارات الخطيرة الى القوة العليا تبركا بها . . .
المؤمن عنده (ارتكاز) .

ان النقد الذى يسمى نفسه مستترا حين يخضع الدين لنظريات
عقلانية ، وتصوير ، محتواه ، مستجيلا ، يخطئ مثل هذا النقد
الهدف والمرمى فلا يصيب الدين ولكن قصاره ان ينتهى الى دين
آخر هو تاليه الدولة أو الديكتاتور .

ان الدين وظيفة طبيعية وجدت منذ البداية لا يمكن القضاء
عليها بالنقد العقلى الذى يعرض المعتقدات الدينية على المنطق
الذى يفضى الى السخرية منها .

سحق الفرد أو تضييعه لا يغتفر تحت أى اسم من الاسماء .
فالكنيسة نفسها حين ربطت الفرد بها فى الغرب لم تفلح . ولهذا
خرجت الحروب الدموية من القارة التى تدين بالمسيحية التى تقول
ان الله محبة .

الكنيسة فى الغرب حين ربطت الفرد بها أفقدته الشعور بالمسئولية
. . . وكان الاخلاق بها ان تشعره بقيمته . . . بقيمة
الانسان الذى كرمه الله وأكرمه بالعقل وقدرة التفكير التى

يمتاز بها الإنسان ، ولو أخطأ ، على (الملاك) أى الملك . فالتفرد
على الخطأ ميزة لا عيب حين تعنى هذه القدرة ، التجريب . .
المحاولة والاجتهاد . . السعى . ولهذا يقول رسول الاسلام ؛
(من أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران)

أما الذى يعيش فى القبة السماوية بعيدا مع النجوم بعيدا عن
الاغراء والاغواء فان من العفة الاتجد .

ان الرعب الذى أوقعت فيه الديكتاتورية ، الإنسان ، هو قمة
الفظائع التى اقترفها الغرب . بحملات الدم التى أغرقت الدول
المسيحية فيها بعضها ، بعضها ، والجرائم التى ارتكبها المواطن
الأوربي ضد الشعوب السمرات أثناء استعمارها لها ، حلقة
متصلة . . .

ومثل هذا الرعب بشكل فى بلدنا أحيانا سحابة قائمة
نوق رعوسنا . وقد حق للرعب والخوف والقهر الذى كان ، أن
يحل محله رابطة من النوع الوجداني تعود معها بيننا الصلات
الانسانية التى وهت وكاد يدمرها اليك والتوجس نبتنا فى حالة
تقاعس أخلاقى شامت معه الوجوه والنفوس وتاهت المعالم
والصفات . . . مع أن الإنسان لا يكون انسانا الا اذا كان له
موقف تجاه النفس وتجاه الآخرين .

انسان ثراؤه ليس خارجيا واردا من ثقافة مكتسبة أو مذهب
آخرين، ولكن ثراؤه داخلي من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها
بالحرية . . . انسان هو نفسه موضوع وشخصية .
اننا اذا اعتبرنا الثقافة نمو النفس فان هذا النمو لا يتحقق
الا فى جو من الحرية يتيح للنفس الانسانية الواقية ان تعطى
ما لديها من الادراكات والمنجزات والطرح . فلا يهيج ولا (يهيج)
مقفوننا الى الخارج فارين أو يائسين لأن المحيطين بهم عندهم
نزوع (نطوى) ضد المتقنين .

لقد اعتبر (كارليل) بثقافته، «نابليون» انسانا متوسطا ولكن الفتره
التي نتحدث عنها فترة نابليونية.كم من واحد فيها (عامل نابليون)
ومن الأسف أن كثيرين منا صدقوا كثيرين منهم بمعبدادة الاسم في
الشرق رسم من رسومه كذلك التركي الذي أمضى الليل كله وهو
يستمتع الى صاحب الربابة وفي نهاية الليل قال له :

— اسمع قول حظرتكم شوية أبو زيد الهلالى علشان حظرتنا يكون
مبسوط .

فرد عازف الربابة :

— كل ما سمعته كان عن (أبو زيد الهلالى) .

فتهلل وجه التركي وقال :

— لازم أنا كنت مبسوط

وبعد هذا كله طار صوابنا عندما وقع العدوان . ان العدوان
الحقيقى وقع قبله على العقول .. على القيم . فالتحرير الثقافى
.. تحرير الكيان المصرى البشرى هو أساس كل تحرير ...

اننا ، باللاوعى الذى نعيش فيه فى حالة اغماء قومى ، ولا
صحوة لنا الا أن نبحث عن **المفتاح الذى أضلّعناه** .. أعيدوا
تقييم وتقويم حياتنا وسلوكنا وتعلينا ... **أعيدوا كتابة التاريخ** .

محكمة التاريخ

هل هناك مسئول واحد عن الصدع الذي حدث في الشخصية المصرية ؟

- المدرسة المصرية آفة من آفات الشخصية المصرية .
- والمطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية .

والمرأة المصرية مسئولة بالدرجة الأولى عما نحن فيه . انها مسئولة حتى عن أخطاء الرجل المصرى لانه كان ابنا لها يوما ما فلم تشكله الا على هذه الصورة .

كيف تعلم المدرسة المصرية اليوم ، التاريخ ؟ ماذا تقول ؟ مدائح ملوكية كالأدب العربى هل نعرف او يعرف أولادنا شيئا عن دور الشعب فى صنع التاريخ ؟ أعفيكم من الجواب فانى أعرفه . . لقد حدثونا وانا صوا عن أبطال الحروب أى الذين قتلوا أكثر . . . ، والملوك الكرام الذين رعوا العلم والعلماء . . . رعاة العلم هؤلاء صادروا أيضا الراى الحر ، ورموا أصحابه فى غيابات السجون . . بل حرقوا ثرى بأكملها لتتزل على رأبهم .

لا نأمنوا ألقاب التاريخ فكم من مأبون فيه غير مأمون . . .

حتى الذين تحدثوا عنهم من السادة والغادة لم يستوفوا سيرتهم
عن جهل أو عن علم ... من يدري . ان كثيرين من هؤلاء كانوا
أضعف من ذبابة على الرغم من قوتهم الظاهرة وسطوتهم
الكاسرة ... ولعلهم في ضعفهم وراء الكواليس ، أقرب الى
القلب الانساني منهم على المسرح في أزياء التمثيل الملوكية أو
العسكرية أو السياسية .

من الناس من يحارب الدجالين في حياة المجتمع ثم يشيع الدجل
في التاريخ فيزيقون نسب الشعوب تارة ، وطورا يلبسون
الاقتصاب ثوب الشرعية فيسمون الفوز تمدينا ، والاستخرا ب
استعمارا وطمس الشخصية تطويرا ... الخ الأسماء الملقوفة
أو المعكوفة ...

من المؤرخين مغرضون تملأ عليه أهواؤهم ولم ينبج من الفرض
هيرو دوت نفسه أبو التاريخ كما يقولون . والافهل من الصدق
قوله انه رأي في مصر النساء تقضى حاجتها واقفة بينما الرجال
يقضون الحاجة وهم قعود ؟ وهل من الصدق ما قاله وشايعة فيه
بنلر ، وبلوتازك عن عروس النيل التي زعموا ان المصريين يلقونها
في النهر ليفيض ؟ بل قال به ابن كثير في تفسيره ولو انه رواها
بسند عن مجهول كما قال به في تاريخه ابن عبد الحكم ؟
لقد اخترت هذه الأمثلة لأنها قريبة منا .

وهناك مؤرخون يجيدون ركوب ظهر الموجة فيكتبون ما يرضى
الحاكم وان أخلق الحقيقة فكل من تولى قبله شر كله حين يستأثر
عهده بالخير كله !

ولأمر ما فضل أرسطو ، الشعر ، على التاريخ ... ان كذبه
التخيلي ، هو على الأقل رؤية بعيدة ولا يقصد بها التحريف
والتحيف .

ولأننا نلغى تاريخ مصر ولا نقرؤه ، أضعنا المفتاح .

اننا نركز كثيرا على الهرم وهو منجز حضارى رائع ولكن تحويل المستنقعات أو أحراش البردى الى جنة خضراء منجز حضارى أيضا لا يقل من بناء الأهرام فى دلالته على طاقة القدرة والارادة والبناء.

حقا ان الهرم الكبير ليس بناء محسوب ولكن وراعه ، الشخصية المساردة التى أرادت محققت بل قبله اعداد طويل قامت به شخصية « سنفرو » الذى أعد لمجد بناء الأهرام من بنيه .. عمل موظفين من الدرجة الأولى .. والمقصود بالموظف هنا قدرة التنظيم .. عمل الفنيين الحقيقيين ... ثم اننا متعجبون نقف مبهورين أمام الهرم الأكبر وكان يجب أن نبدأ بهرمى سنفرو فى دهشور ثم نتدرج الى الهرم الأكبر لنعيش التجربة ، ونحس المثابرة والاصرار ومحاولة التجويد ...

وبمع هذا فالأهرام ليس منجز مصر الوحيد فاللغة ، منجز حضارى ، كالمهارة ، رائع . والادارة منجز حضارى بارع . والرى منجز حضارى كبير لأن الادارة التى ضبطت النهر هى سر من أسرار مصر . والزراعة منجز حضارى بعيد الأثر فهى دموة الى الحياة بينما الصيد ازهاق حياة . لقد زرعت مصر الوادى نشرت فيه النبات ، وزرعت الفكر حين ثالت به « معات » وزرعت الحجر فشكلته فنونا .

الزراعة تثقيف للأرض فالمصريون حين حضروا الأرض للزراعة ، حضروها أيضا أى مدنوها ...

لقد علمونا مثلا ان (مينا) أول ملوك مصر القديمة . واقبول ان المدرسين وحدهم هم الذين يبدعون التاريخ المصرى بمينا ... ولكن قبل مينا نشأت على هذا المكان ملحمة تاريخية من الجهاد

الحضارى ، رائعة .. ان السعى الحضارى المحسوب لمجر
ار الذى يجب أن يحسب لها يبلغ عشرات الالوف من السنين .
لقد وجد مصر قبل مينا ، أوزوريس وحورس ضد التفرقة
والجذب أى سيت .

لقد تضافر النيل والانسان المصرى على اخراج هذه الملحة ..
نهناك دالات أنهار ولكن الأنهار ودالاتها فى غير مصر ، لم تضلق
الحضارة بمستوى هذا . الخلق .. وأهم من هذا لم تتواصل فيها
الحضارة بغير انقطاع كما حدث فى مصر ...

لقد عاش الانسان المصرى الفى سنة فى سعى حضارى قبل
الاسرات والتكوين السياسى حيث حضر النيل المسرح للحضارة ..
ومضى الانسان المصرى الدرس ومضمونه قيمتان كبيرتان :

✱ الكل فى واحد ، التعاون .

✱ الممهل أى التكايف لدرء خطر الفيضان .

هنا فى هذا المكان جمع الانسان المصرى نفسه فى وحدة حضارية
مستمعا الى نداء النيل الذى جمع نفسه من أنهار ...
علمونا ان الطبيعة فى مصر رتيبة ... وجنة مصر يصفها بالرتابة
من لم يستدق حسه . فلكل بقعة من الأرض المصرية « روح » يشعر
بهذا الحضور ، الزائف الى سقارة

للهرم روح ، وليت رهينة أى منف روح وكيان مميز ...
للكنائس روح وللمساجد روح ... للقاهرة روح ، وللصعيد روح ،
ولدن الشواطىء روح ... والفروق بين الأمكنة هو باب تمييز
الفروق بين الأعمال المختلفة .

علمونا أن أسلافنا وثنيون ومعظم الذين تكلموا عن الديانة

المصرية القديمة شغلهم عنصر الخرافة فيها لا الجوهر .. ولهذا،
ظلت الديانة المصرية القديمة فيها منطقة يلفها الغموض والتحريف.
منطقة misunderstanding

لقد عرفت مصر القيم يوم وضعت كلمة (معات) وحققتها ...
يوم وضعت الأخلاقيات .. وطرحها الرائع في هذا المجال لم يزد
لا حق عليه شيئا جديدا ...

ان الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها (وثنية) ويحكم
عليها بعد خمود ثورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجسود الله
من وراء المعبود المحسوس .

ولأمر ما وصفوا « منفتاح » اله الفن المصرى في نحتيه بأنه
يشكل أجسادا طاهرة تقبل الالهة أن تحل فيها ...

ان تواصل الحضارة بغير انقطاع دليل بر وخير ومجتمع مقسم
لا وثنى ... مجتمع مستقر وقرير . ولهذا جسدت الفن المصرى
(السكينة) ... انه فن النفس المطمئنة لأنها في هذا الكون تحس
طمأنينة الدار الآمنة ... طمأنينة الوطن الثوى وحماه .

لقد حققت مصر السكينة ثلاث مرات وبصور متعددة ورائعة :

في العصر القديم .. ثم في المسيحية .. ثم في الاسلام .

ولم يحقق بلد السكينة في انجازاته بالكيف والكم الذى حققته
مصر ... ولا يستثنى من هذا الهند والصين على عظم وضخامة
ما حققته .. ومن هنا يجب أن يشع كل شئ مصرى ، (السكينة ،
من قرار سحيق .

ان مصر بلد أول كتاب دينى كتبه الانسان .

انها بلد الايمان على الرغم من انها غيرت شكل دينها عدة مرات

ولكن جوهر الدين في قلبها واحد عبر الاختاتونية والمسيحية
والاسلام ومع « توحيد » يتجلى في وحدة الله ووحدة الوجود .

ان الوجدان الدينى بالنسبة لمصر (القيمة) كالنيل بالنسبة
لمصر (الأرض) .

ان من يثقل الى ابي الهول يحس الحضور المقدس .. الوجدان
الدينى يمثله أبو الهول في الشرب وجامع الساطن حسن في الشرق .
والمصرى يحتوى ذاته حسب دينها يتف وراء نظرتها الى الحياة
والاشياء سواء في هذا اختاتون وسانت انطونيوس وابن الفارض .
ان سانت انطونى يمثّل روح الدين بلا حجر أو جدار ..

الوجدان الدينى يدرج من يقترب من روح مصر ، في اديانة
المصريه القدسيه وفي المجرى الانساني ... واسنوب المصرى في
الحالين يعكس هذا الحس الدينى كما يعكس حبه العابد للطبيعة
المصرية .

اندين في مصر وعى بالمهندس تم اتصال به ووصل .

ان ايمان مصر المبكر بالدين ممثلا في التوحيد او حتى في عبادة
من العبادات كالشمس أو النيل ، طبعها على الحساسيه واستشعار
الواجب والايمان بالخير والفضيلة والجزاء والعقاب والثواب
والرضا والرحمة والعقل ...

انها باد (معات) رمز العدالة والخير والحق .

مصر في طبعها من الوداده والسماحة الرواح ما جعلها تجمع
بين « ايزيس » و « سيت » بعد كل الذى فعله في اوزوريس !!
ونبكي على الناكم الظالم وهى التى شقيت به ،لأنه مات! وهى
بعاطفيتها يشجىها الفراق ، وتبكيها المواقف يضعف فيها الانسان
ولو كان أصحابها الأعداء لا الأصدقاء .

هذه مصر التي لا يعرفها أهلها حتى غدا البيت المصري في القرن التاسع عشر يطلق على الشيء الذي يحلو في عينه (عصلي) نسبة إلى الأتراك العثمانيين . وفي القرن العشرين ، الحلو هو (الأفرنكة) ثم صار (مستورد) أما « الوحش » فهو « بلدي » ...

أين نحن من مصر وإن دعونا أنفسنا ، مصريين ؟

إننا كما قلنا في حالة اغناء قومي لو صرح هذا التعبير ولا بد .. لكن نفيق منه ، من عودة إلى الماضي لا للتشوق الأجوف به ، ولكن لاستلهامه واستكماله والا غدونا أقزاما كالأشجار التي تقص جذورها .. ففى اليابان عندما يريدون (قزمية) شجرة يقصون جذورها .

اسمع من يقول من أين نبدأ ... رايي ، المتحف المصري نقطة انطلاق صحيحة لبث الوعي .. وعي من طراز جديد في شبيه الوعي واللاوعي الموجود حاليا . وقيمة المتحف المصري في المدى التاريخي الطويل مما لا يعطى عطاءه أى عمل فني واحد مهما بلغ ثمنه .

في المتحف يستطيع المصري أن يرى تاريخ مصر كيف ينسج خيطا خيطا ...

في المتحف حيث تبدأ الحضارة المصرية من قاعة العصر الحجري لنتهي إلى ذروة كبيرة من ذراتها حيث يقوم تمثال أمنوفيس الثالث ، والد اخناتون ، والملكة تي زوجته وأولادهما أي عصر الإمبراطورية ... وعز الإمبراطورية حيث كانت مصر ترفل في النعمة وتشرق بالثقافة ونهنا بالسلام في هدنة من الحروب .

إن التاريخ المصري جزء من الوعي المصري ..

لقد علمونا أو لفتونا بمعنى أصح أن الفلسفة من صنع يونان ..
وأن مصر ليس لها فلسفة .

لقد تفلسفت مصر حين جعلت الفن للحياة وهذا خلاف نظرية
الفن للفن .

الفن للفن سوء وليس حسنة لأنه يتف عند هذه الغاية ..
ولكن الفن للحياة معناه اثراء معنى الوجود الانساني .. وفي
تواصل واستمرار .

رمزت مصر بالبقرة الى السماء بل الى الطبيعة لأن البقرة
عندها ودادة ورفق .. وداعة وحنان .. أمومة ورعاية وعطاء ..

لقد فهمت مصر (الرضاعة) فيها عميقا ... أنها اتحاد الأم
بالوليد ولهذا اشاع قدماء المصريين في فنهم (الرضاعة) فالملك
أمنوفيتس يرضع من الآلهة حتحور ، وحورس يرضع من البقرة
التي هي رمز الطبيعة الأم .. فهو يتحد بالكون .

ان الانوثة في الحضارة المصرية صفة كونية بما هي رمز التلقي
والاستنبات والعطاء .

هذه هي فلسفة مصر .. فلسفتها غير المكتوبة .

لقد رسمت مصر القديمة البقرة شجرة . والشجرة لها ثدي
والانسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان ... لم يكن هذا
مبدا من الفنان المصري بل فلسفة كبيرة ... انه يرمز الى وحدة
الكون في غلاف من الرحمة التي وسعت كل شيء .. فالشجرة
رمز عالم النبات والبقرة رمز عالم الحيوان ..

انها رهانة وجدان مصر التي غطنت من آلاف السنين الى ما يسميه
الانجليز اليوم : Unitive knowledge

وفي المتصرف الاسلامى قصة تقول أن المريد طرق باب الحبيب
فسمع السؤال : من ؟ فقال : أنا . فلم يفتح الباب . فمدف المريد . .
وراجع نفسه ثم عاد مرة أخرى وطرق الباب .
— من ؟

— قال المريد : أنت

وهنا فقط فتح الباب .

لم يكن الخيال عند مصر شحلات سريالية بل كان خيالها عين
داخلية بصيرة ترى ما لا يدركه البصر . . . رؤيتها بعيدة . .
. ديدة . . رؤية شفة مستشفة .

لقد احترمت مصر القديمة ، الحيوان . . ولم تحترم مصر الحديثة ،
الإنسان . . لقد نجحت مصر في الكثرة عن كثرة الحيوان كما جاء من مجالى
القدسية في هذا الوجود ولكن الذين لم يروا في ديانة مصر الا الوثنية
انما نظروا اليها في عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح
الخابى الكابى لا ترى فيه الا (الهباب) أو (مساد فانوس) .
مصر عبدت الحيوان . نعم . لاحتساسها بروعة الخلق فيه فهو
جزء من الله بها هو مجالى من مجالى قدرته . . .

الفرق بيننا وبينهم اننا نقرن (القرد) بالقرداتى . وهم كانوا
يقرنون القرد (بالحكمة) ، فكان (تحوت) اله الحكمة .

الحيوان هو الحياة . . والله يسمى الدار اذغرة (الحيوان)
كما اشرت ولكن مصر الحديثة هان عليها ، وفيها ، الإنسان .

حتى الشعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت
فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجذرى ، فتمشكك الجسم

في التفانية مستديرة رهيبة تنمو منها الرقبة والرأس في ارتفاع ..
هذه الهيئة كالجذر والساق .

رأت مصر في الشعبان ، على شره الظاهر ، تعبيرا عن الحياة
انفتحة القوية المثلثة البأس .. ولأمر ما سميت اللغة العربية أنثى
الشعبان (حية) ... من حروف الحياة .

لهذا شاع رسم الشعبان في الفن المصرى ... ان مصر القديمة
عندها ادراك رهيف بتيار الحياة السارى من النجوم الى أعماق
الأرض .. من كائنات الخير الى كائنات الشر ... عندها شعور
سيال الحياة الجارى .

هذه هى فلسفة مصر .

فلسفتها غير المكتوبة كما اثرت .

والرؤية المقدسة ، التى ترى ما وراء الشئ من خلاله كائنات عند
مصر القديمة والصين وحدها ... قد يقول قائل : والهند ؟
نأقول : لا . ان الهند فنها أدبى الطابع حتى المعبد عندها تركيبي
كالجملة المفردة . ولكن مصر والصين نفذتا الى أسرار الطبيعة
والمعنى البعيد .

يقول بوذا (في بداية الطريق — أى طريق المعرفة — كانت
الأزهار أزهارا ، والجبال جبالا ، والبقر بقرا .. يشير الى التلقين
الذى يلقيه الانسان فيكون قناعا يحجب عن العقل خوافى
الاشياء) ...

وفي منتصف الطريق غدت الأزهار وهى ليست أزهارا ولا الجبال
جبالا ، ولا البقر بقرا ... أى بالمعنى الحرفى لهذه المخلوقات .

وفي اللغة فرع يسمونه (علم المعانى) يهتم بأنواع الجمال

وتقسيماتها وأغراضها في الخبر والإنشاء مع أن اللغة ، أحيانا ،
تقف بين الإنسان والمعنى بدلا من أن توضحه .. وكذلك المعلم ..

لحين يقول أنجيل متى (طوبى للحرانى لانهم يتعززون) لا يقصد
الحزن بمعناه الكابى الذى يسترسل فيه أصحابه استجابة خفية
أو مقصودة لظاهر هذه العبارة ، وإنما يقصد الحزن الشفاف الذى
يستشعره أصحابه من عمق احساسهم بعزلة الانسان فيهم عن
النبوع الأكبر .

هل يهم ازاء المعنى العميق لهذه الكلمة أن نعرف ما اذا كانت
خبرا أو انشاء ؟

ونستطيع القول نفسه من علم البيان ومن علم البديع أى عن
نروع البلاغة الثلاثة ... ولو انفتحنا في تعليمنا اللغة وبلاغتها
على المفهوم الكبير للأدب ، لتجاوز اهتمامنا الجزئيات الى الكليات ..
وتحررنا من الألفاظ الى القطع الأدبية والأساليب وموسيقى الروح
فى العمل الأدبى .. أى تجاوزنا التقسيم القديم برمته لنقف وثقة واعية
عند الفن ومدارسه وأساليبه .. وعند علم الجمال وعلم النفس ..
ما هو الوجدان وما هو الخيال وما هو الذوق .. وما هى
العواطف الانسانية التى يتبع عادة ، منها الادب كسائر الفنون ..
أن قيمة الادب فى قدرة الكلمة التى هى الترجمة الكاملة مما فى
النفس . ولكن البلاغة القديمة صيرت الغلاف هو الفن حين حسبت
الكلمة برنينها وتطبيقاتها هي الفن ، وحين حسبت اللغة فى القاموس
معزلتها عن الحياة بثبوتها .

وهكذا نحتاج الى عملية مراجعة كبيرة .. تصفية وتنقية لتراثنا
الفكرى والاجتماعى عملية مراجعة للتاريخ .
ومراجعة الحاضر أيضا بمواضعاته واعتباراتِهِ ومتناقضاته ،
والوان السلوك ، لكى نعيد كتابة التاريخ .

المفاهيم الشائبة وكثافة التاريخ

١- الأهرام والشجرة

من الأفكار التي تدخل في مجموعة المفاهيم الشائبة بناء الهرم...
الوطنيون المتحمسون يرون فيه صرحا للعمارة والعلم وبراعة
الإدارة وطلود الفن... وآخرون وطنيون أيضا ولكن بطريقة
أخرى... فهم أمعنا في النظرية الأخرى وولاء لها يرون فيسه
صرحا شاهدا على الاستعباد والسخرة، فشاعركبير مثل عزيز أباظة
يقول عنه في قصيدته (السد العالي) أن الهرم بنى بأيد مسخرة
موثقة ! وكأن هناك منافسة بين الهرم والسد !

أما الفاتحون ممن تحكمهم عقدة المجد فهم يحسون ثقل الهرم
على نفوسهم وقد حاول بعضهم فعلا هدمه فلم ينالوا منه غير
ثمانيه أمتار في قمته كانت كافية للدلالة على حقهم وبقي الهرم...
وحاول بعض آخر من شدة احساسه بعجزه أمام الآثار المصرية
أن يكسر أنف أبى الهول ليطامن من شموخه . وفي الأدب الشعبي
يكنى بالتعبير (يكسر أنفه) عن الأذلال والحقطيم . ولكن أبا الهول
ظل رايبضا ساخرا في كبرياء... ساخرا من كل دخيل . لم يخسر
شيئا حين خسر الدخلاء كل شيء... .

دعنا من الحائقين والمحبين على السواء . ما هو وجه الحقيقة
في هذا الموضوع ؟

هرمان يونكر يرى (أن ما فيه من اتقان لا يمكن أن يحققه
عامل مستعبد) وفي رأيه أن الاستعباد قد يستطيع أن يبنى هربا
ولكنه لا يستطيع أن يحقق اتقاناً أو يفجر فنا سعيدا في ، بغددة
ذالنقش في الهرم وفي المعابد المصرية فيه فرحة وغنائية يندر
وجودها في فن آخر . والمغبد بتقسيم الجدار والسقف صخرة
منحوتة بحساب نفس متبلورة غنية الأبعاد ..

من الهرم الكبير الى الخزنة الصغيرة .

من الإيجاز الى الإسهاب .

أبعاد غنية من الوفرة وراءها خيال له رؤية داخلية تنفذ من
السطح الى العمق البعيد .

كان يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

(عندما اسمع نقة الازميل حزينة أعرف أن هناك خطأ في
العمل !! وعندما أسمعه سعيدا — من سعادة العامل — أعرف
أن العمل مضبوط ..)

جاء في « تاريخ العلم » لجورج سارتون (ان متوسط الخطأ
في طول جوانب الهرم لا يعدو ١ : ٤٠٠٠ وأن الخطأ في عمليات
التربيع التي استخدمت فيه لا يعدو كسرا عشريا يساوى دقيقتين
واثنتي عشر ثانية ، وأن معدل الخطأ في ضبط ضلعيه الشرقي
والغربي لا يزيد عن ٣ : ١٠٠ ، وأن الفواصل بين الأحجار
لا تزيد عن نصف ملليمتر ٠٠٠٠)

هل كان عمال الهرم سعداء .. ؟

تريفة أخرى غير (الاتقان) يضيفها الكسندر شارف وهي حرص الحليقات الكاحشة على أن تدفن على بقرية من هرم خوفو بعد موته بأربعة قرون بما رسخ في نفوس الشعب من سيرته وآثره .

أى أن الأهرامات كانت مساجد ذلك العصر نباتها كانوا يتبركون بينها .

يقول الدكتور أحمد فخري (١) (ان دارس التاريخ يجب ألا ينسى أنه من الخطأ الكبير أن تحكم على ما حدث في العصور الماضية بأرائنا الحالية ، أو ما نؤمن به الآن من قيم أخلاقية أو بدىء . كان خوفو ملكا مقدسا ، ولا شك أن رعاياه كان يسعدهم أن يشتركوا في إقامة مبانيه الخالدة ، وقد شيدت في أيامه كثير من آيات العمارة والفن . فإذا كان هذا الشخص حقيقا ملكا ظالما يتسلطا عاتيا فمن غير المعقول أن يكون في استطاعته ترك البلاد في حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه (خفرع) على بناء الهرم الثانى ، وهو بناء يخذ بمنازل هرم أبيه في عظمتته . ولذا تكان لادعاءات أولئك الكتاب — المعارضين — أى نصيب من الحقيقة لاستحالة الاستمرار في حفظ الطقوس الدينية الخاصة بالملك (خوفو) قرونا كثيرة ، فلدينا من العصر البطلمى ، أى أكثر من ألفى سنة بعد موته ، آثار تشير إلى استمرار وجود كهنة «خوفو» حتى ذلك العهد) .

وعلى النقيض من هذا ، المؤرخ الشهير « بلىنى » الذى لم ير في الأهرامات إلا (استعراضا سخيفا ، لا فائدة منه ، لثروة الملوك) وادّعى أنه لم يلبث أن تساعل في دهشة لا تخفى : كيف استطاعوا رفع الأحجار إلى هذا الارتفاع العظيم ؟

(١) كتاب « الأهرامات المصرية » ص ١٥١ .

ويبدو أن « بابلوني » لم يكن ، في دهشته ، وحده فقد راع الهرم ، الكثيرين حتى لقد قدم بغض المغرمين بالاحصائيات ، كما يقول الدكتور نخرى ، كثيرا من العمليات الحسابية ليعتقدوا مقارنات بين ارتفاعه وحجمه وبين الآثار الأخرى الشهيرة . واستنادا الى تلك التقديرات يقول عالم الآثاريات أن (مساحة الهرم الأكبر يمكن أن تتسع لمجلس البرلمان وكاتدرائية القديس بولس في انجلترا ، ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول . وهناك حصة أخرى يتضح منها أن المساحة التي تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس في روما ، وكذلك كاتدرائية القديس بولس وديروستمنستر في لندن .

ولو أننا قطعنا جميع أحجار الهرم الى أحجار صغيرة ، حجم كل منها قدم مربعة واحدة ، ووضعنا هذه الأحجار كل منها الى جانب الآخر لأصبح طولها ثلاثي طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء . وعندما كان نابليون في مصر حسب أنه يوجد في الهرم الأكبر ، وما جاوره من أهرامات ، أحجار تكفى لإقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسنكه متر واحد ، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا بين علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذي حسبته نابليون ؟ .

ويغيب في البهر حقيقة أخرى رائعة وهي الطرق الصاعدة التي أكدت الاكتشافات الأثرية وجودها بالضرورة لبناء أى هرم . وتشيد الطرق الصاعدة قبل كبير ومجهود ضخم لا يكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه) .

وغير الطرق الصاعدة يلحق بكل هرم معبد جنازي وهيكل وسفن وسور خارجي مما يسبونه (المجموعة الهرمية) .

يقول الدكتور مخرى مرة أخرى (ان العقل لجهار اذا ما اعملنا التفكير في كمية العمل الذي يحتاج اليها مثل هذا البناء حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة ...)

ومع هذا لم يروا. هم في هذا العمل شيئاً محيراً بل شيئاً يستحق الذكر !! فلم تشر نصوصهم المدونة في الأهرام أو غيرها الى صليبه البناء ، أو وصفها !! ترى ما الذي يستحق الإشارة في نظرهم بله الحديث ؟!

جورج سارتون يقول في (تاريخ العلم) ، (انه مع التسليم بأن المهندسين المصريين أحلوا القوة البشرية محل القوة الآلية في تشييد هرمهم ، إلا أن ذلك لا يفسر المعجزات الفنية والمعمارية التي تجمعت في بنائه ، وانما يضيف اليها معجزات بشرية لا تقل عنها في صعوبة تفسيرها ، ذلك انه من السهل أن نتحدث عن حشد آلاف من الرجال ، وليكونوا ثلاثين ألف رجل مثلاً ، للقيام معاً بعمل شاق ، ولكن كيف تم تشغيلهم ؟ وكيف تم تدريب الفنيين منهم ؟ وكيف أمكن تحقيق التعاون بينهم ؟ وسواء تأتت القوة اللازمة لعمل من الأعمال عن محرك آلي أم عن كتلة بشرية ، فإن ترتيب هذا العمل وتنفيذه يتطلبان فكاً فاضحاً للتنسيق بين السبل والعمال) .

ونعود الى النقطة الاولى هل تم البناء رهبة أو رغبة ؟ سخرة أو رضاء ؟

الدكتور عبد العزيز صالح أشار الى أن البناء كان يجرى في مواسم الفيضان والى أن البناء كان يعنى منه طوائف المتعلمين من موظفي الحكومة وكهنة المعابد وربما كبار الشخصيات من أهل المدن والقرى أيضاً أى كان قاصراً على اليهوديين .

كما أشار الى أن العمال كانوا مسحورين بالمقيسة السديفية

فالمملك كان رأس الديانة ووريث الأرباب ، من الناحية النظرية على أقل تقدير بل كان يعتبر ملكا في الآخرة أيضا والجهد في سبيله شناعة .

كما أشار الى أن العمال خصصت لهم شئون الغلال وخصمت لهم مساكن لايوانهم ولم يتركوا في العراء وقدم لهم الطعام والنسابة وتضمنت النصوص قول بعض من تولوا رئاسة الأتباع بالصنيع (لم أضرب انسانا وقع تحت يدي ولم أستعبد احدا في العمل) وقول أحد أثرياء الأسرة الرابعة :

(كل صانع عمل في مقبرتي أرضيته)

وقول آخر (انفق على قبري هذا من مناعي الحلال ولم يحدث اطلاقا أن اعسبت متاع شخص ما)

يقول الدكتور عبد العزيز صالح : (ليس من شك في ان مثل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك في انها لا تخلو من ابارات صدق . ولواقع انه اذا كان لكل طائفة من الحكام آفة ، وكان من آفة حديم بلاد النهرين الاتدمين حب البطش وسفك الدماء والنهم الى الجبروت ، وكان من امر الحكام الرومان الاتدميين مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير من موارد دولهم وبيوت اموالها في سبيل بناء القصور وحياء الاستمتاع ومدايح الشعراء فقد كان من آفة انفراعة المصريين أنهم وجعوا جانبيا كبيرا من موارد ارضهم الى مسانح المنساج والمقابر والأهرام . . .)

وقد يتساءل بعض الناس لماذا لم يهتموا بالنواحي السرانية اننى نشود على الشعب كله بالخير ؟

وهنا أقول إن ملوك الأهرام بذلوا الكثير من أجل التعمير
وانتضير وبعض هذا ، الزراعة ، علم ذلك العصر وصناعاته بها
وراءها من رى وشق الترع والقنوات ، والتقويم السنوى وكل
ما حملته عصرهم من حضاره بفنونها وعلومها ... فعلوا هذا قبل
بناء الأهرام بل لعلهم بسبب هذا كله وبه ، بنوا الأهرام ...
بعائد الزراعة وخيرها ، ويدافع استثمار نعيمها واستبقائه بعسد
الحياة . فما يفكر فى الخلود محروم أو مجهود ولكن نعيم الحياة فى
مصر جعل جنة المصريين ، مصر خالدة .



بل أن أمين سامى (ياشا) صاحب كتاب تقويم النيل يقول فى
جزء (مصر والنيل) برأى جديد مضمونه ان النيل كان يجرى فى
ذلك العهد بالقرب من الهرم . فكانت الرمال تطمر مجراه . وكانوا
يقاسون فى أزالتها أشد العذاب فبنوا الهرم ذا السطوح المائلة
التي اذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية
الانعكاس . وضمنوه فوائد أخرى منها أنه يمكن به تعيين الجهات
ومعرفة الفصول .

ودفن خوفو به من قبيل دفن أصحاب المساجد فيها .

حين نعيد كتابة التاريخ يجب أن يعرف النشء وجوه الرأى فى
هذا الموضوع ليحكم بنفسه لنفسه وحتى لا يقع ضحية آراء
مغرضة ، أو حائقة ، أو خاطئة ، أو متورطة مسامية ومجاملة

لساذا الأهرام دون سائر الآثار فى مختلف الحضارات القديمة
تسلط عليها فكرة السخرة ؟ مع أنها بنيت فى بيئات لا تنتظر
انحسار فيضان ، أو يوثق علاقتها بالحاكم نهر معبود يجعل مرضاته
باعتباره سيد النيل ، بركة وضرورة معا ؟

لساذا لا يقال ان سقارة حقق فيها المصريون حبهم للنور فأبو

الوصول في هيئته وموضعه من الهضبة بكل ما فيه من قرار واستقرار وطمأنينة يمثل فكرة انتظار مشرق الشمس .. والهرم نفسه مصعد الى الشمس فانها (عندما تسقط مضيئة بين فجوات السحاب في السماء فانها تظهر كما لو كانت اهراما هائلة الحجم تربط بين السماء والارض . وتترا في أكثر من موضع في نصوص الاهرام وصفا للملك الميت وهو يستخدم أئمة الشمس كطريق مساعد يرقى عليه الى السماء .)

هذا الكيان الرياضي الصارم الأخاذ الجليل .. انه طائر ذو أربعة أجنحة ولهذا يجب على من يزوره أن يقف قبالة الزاوية ثم يرفع بصره الى القمة ويحتضنه من الجناحين في عملية تجسيد للنفس وللوجود البشرى المصرى .

انه وعاء للزمن فيه كينونة وراء صيرورة الأيام .

انه حوار بين الانسان والمطلق .. كتلة تطمئن وسط الفضاء اللانهائى ... كتلة تملأ جزءا من الفراغ ثم عاد الانسان المصرى فلغها حين صقل سطح الهرم بالطلاء الأبيض استزادة من النور . وهذه الثنائية في الشعور عبرت عنه أساطيرنا حين جعلت البطل يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

الهرم رؤية لأجيال مجتمعة في رائعة فنية .

انه اشارة الصمود والثبات في الشخصية المصرية .

٢ - أسماء وراءها مواقف «فرعون»

قالوا (فرعون) وعنوا باللفظة التجبر والتكبر، وأحيانا الشر والكفر
ليقول المثل (تحسبه موسى تلاقية فرعون) .

وعند المثنيين المصريين يعنى لفظ (الفراعنة) المجد كله والفخر
كله . لننأتش كلمة (فرعون) .

كيف تكونت ؟ ما هى دلالتها ؟

يقول الدكتور عبد العزيز صالح انه لقب (جمع بين صيغة
بصرية قديمة ، وصيغة عبرية قديمة ، وصيغة عربية قديمة .
مصيغته المصرية القديمة برعا أو برعو «وتشبهها الصيغة الآشورية
برؤو أو برعو» ومصيغته العبرية « فرعو » بعد قلب الباء ماء
« وتشبهها الصيغة الأغريقية فاراو » ومصيغته العربية «فرعون»
بعد اضافة نون أخيرة .

أما الصيغة المصرية فهى تعنى البيت العالى، أو البيت العظيم.
وتلقب الملوك والرؤساء ، شىء معروف فى القديم بل لا يزال
بالوقنا فى عصرنا الحاضر) .

ما الذى يجعل هذا الثقب سىء الوقع عند بعض الناس ؟

هل هو فرعون موسى ؟

هل من طبيعة البشر أو طبيعة الأشياء أن يصدق فرعون بكل هيله وهيلمانه ، وللوهلة الأولى ، داعيا ، فى نفسه منه ما فيها ...

وقد كذبت قريش بعد أن قطعت الانسانية من عمر الزمن دهورا بعده ، الزكى السرى الصادق الأمين وهو فى الذؤابة منها شرفا ومحتدا ؟ لم يكن عندها عذر عصبية الجنس أو عقدة الثأر القديم أو مبرر الاستعلاء .

لقد كان موسى فى نظر فرعون كما جاء فى القرآن الكريم قتال أحد رجاله وهو فى نظره ، ربيب نصره حتى ليقول له فى عتاب أو تأنيب أو كليهما : (ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .. وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) .

ولم ينكر موسى (قال فعلتها اذاً وأنا من الضالين) .

سورة الشعراء الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩

كيف ؟

القرآن الكريم يقول : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فسوكته موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مبين .

قال رب انى ظلمت نفسى فأغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم .

قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين)

سورة القصص الآيات ١٤ و ١٥ و ١٦

(قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون) القصص
آية ٣٢

الا يخطيء من ليسوا انبياء ؟

وعندما يخطيء فرعون موسى هل ينسحب هذا الخطأ على كل
فرعون ؟

الم يكن اخفائون متساميا موحدا نبيلًا ؟

هل كل ملوك الفرس تميز ؟

هل كل خلفاء بنى العباس ، السفاح ؟

هل كل الفاطميين « الحاكم » ؟

واذا جاز ان يحسب علينا خطأ فرعون واحداً فان من المقابل ،
ان يحسب لنا امجاد فراعين ، يكنى الواحد منهم أمة بأسرها
في باب المفاخر

على ان من أئمة المسلمين والواصلين من برأ فرعون من الكفر .
فالامام محيي الدين بن عربى يقول في كتابه « فصوص الحكيم »
(بايمان فرعون ايماننا لازما ، وانه قدلقى ربه طاهرا مطهرا .)
سالما من العيب ، بريئا من الذنب (وظهره في هذا الامام جلال
الدين الدوانى في رسالته الخطية الموجودة بدار الكتب . مستندين
الى الآية الكريمة (آمنتم انه لا اله الا الذى آمنتم به بنو
اسرائيل واتنا من المسلمين) سورة يونس آية ٩٠ ، وجعله ابن
عربى ، آية على عنايته سبحانه لمن يشاء حتى لايبأس أحد من
الله تعالى .

(قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

وأخيرا اسم مصر

حين احتجب اسم مصر قال لى صديق فنان ممن يحبون مصر حبا خاصا ... هونى على نفسك وهل الذى احتجب الاسم الاصلى ؟

كثيرون ومنهم مثقفون يعتقدون أن اسم (مصر) هو ، التسمية العربية أى تسمية حادثة فى القرن السابع الميلادى فهى ليست بالاسم الاول القديم .

والحقيقة أن المصريين القدماء فتنوا بواديهم الأخضر وسماهوا أكثر من اسم . فهو ، أى مصر ، عندهم (كيه) أى السمراء ، و (تاكيس) أى الخمرية ، و « تاوى » أى الأرضين و (ايدبوى) أى الضفتين . ولم يكتفوا بهذا كله بل أضفوا عليها من ولعهم بها صفات شاعرية كما يدل المرموق المعشوق فقالوا « ايره رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وقالوا « وجاة نثرو » أى عين رب الأرباب و « اترتى » أى ذات الحرابين و « باثة » أى الزيتونة فهى خضراء دائها ..

أما جيرانهم من كنعانيين وأشوريين وفينيقيين وبابليين فكانوا يسمونها مصرى ومشرى ومصر ومصرم ومصرايم « الشورا » ومصرين وكتبها التران الكريم بلفظة مصر .

ومن الوثائق الخارجية المحفوظة رسالة بعث بها أمير كنعانى فى الربع الثانى للقرن الرابع عشر ق . م يطلب حماية فرعون ويستأذنه فى إرسال أهله الى « ماتو مصرى » أى الى أرض مصر .

أذن كلمة مصر تمتد فى الزمن الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وتقارب هذه اللغات فى اسم مصر يطرح احتمالا مؤداه أن هذه اللغات أخذته أصلا عن أصحابه ... عن اللغة المصرية القديمة فإن أسماء الأعلام تؤخذ كلها الى حد بعيد ...

يقول الدكتور عبد العزيز صالح (ليس من المستبعد إطلاقاً أن تؤدي الكشوف الأثرية المقبلة إلى إظهار وثائق مصرية تذكر اسم مصر في صراحة ، ولكن حتى تظهر هذه الوثائق يمكن ترتيب الآراء المحتملة في ضوء المصادر المعروفة حتى الآن في تحليل اسم محسر ومترادفاته القديمة ، في أربعة آراء تنتهي جميعها إلى اعتباره لفظاً سامياً مشتركاً يؤدي معاني الحاجز والحد والسرور ، ويترجم عن صفى الحصانة والحماية) .

ويؤيد هذا الرأي ما نراه في النقوش والرسوم والتماثيل من احاطة كل عزيز عليهم وخاصة ملوكهم بقصر الشمس المكنع وبماء النيل وتشرب هذا عبر الزمن ، إلينا في قول ابن البلد (مصر المخروسة) .

ومن حب المصريين مصر ، كان قداماؤهم يسمون أنفسهم شعب الشمس ، والشعب النيل ، وشعب الإله . بل تصوروا أنهم نبتة منه صيغت من جسده ، أو أنهم خلقوا من عينه ونزلوا من دموه . وكان ملكهم كان ينطق بلسانهم جميعاً (ليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟) .

قد تكون القوة والثراء والرخاء والسيادة ... قد تكون هذه الصفات مجتمعة ومتفرقة أزدهت فوصفوا أنفسهم بهذه الصفات . ولكن مصور الضعف بما تورثه من تخلف وتسبب وانحطاط هل كان الشعب المصرى يرى نفسه ، فيها ، دموع الله أم دموه هو ؟

في مصور القوة بمكاسبها .

وفي مصور الضعف بمثالبها .

نحن مصريون .

٣- مصر والغزاة

قالوا ان مصر تعاقب عليها الغزاة وتصدوا بهذا ان يرموا الشعب المصرى بالاستكانة والخضوع . بل حاول الاستعمار تعميق هذا المعنى فى نفس الشعب حتى يستسلم لقدره فيه .

قضية او نظرية آن الاوان لكى نناقشها :

زرعت مصر الوادى فكيفها النبات وعالم الزراعة المتجدد ابدا ... الهىها فكرة الخلود .. لماذا لا تتجدد النفس المصرية هى الأخرى ؟ عالم الزراعة اكسب مصر صفة الثبات الدائم ... ان التقلبات لا تثير المصرى كثيرا ... انه هو الباقى وكل العواصف تزول .

لم يضع هدرا ، النضج الحضارى الذى استقر فى اعماق الانسان المصرى والذى كثيرا ما يكون قد قر تحت قشرة متواضعة أو خشنة أو فقيرة ، ولكن المصرى المتواضع أو الفقير يعرف (الأصول) و (العيب) . يقول الدكتور زكى نجيب محمود :

(كان من المستحيل على المصرى ان يجتاز هذه الحضارات التى يكمل بعضها بعضا دون ان يمتص رحيقها .. ومن بين ذلك

الرحيق أن يفرق بين ما هو عابر وما هو دائم ... ومن هنا
جاءت صفة الصبر عنده .. وجاءت صفة السكينة والهدوء التي
يقابل بها الأحداث عادة لأنه موثق أن المستقبل له آخر الأمر ...

ان الغزاة في القديم غزوا مصر بعد أن نعمت طويلا بالحرية
والرخاء والفن . والأمم كالأفراد يضعفها الترف . وكل أمة
يتعاورها المجد والاضمحلال ... لم توجد الأمة التي أطرد مستواها
على وثيرة واحدة ... تلك الأيام ندولها بين الناس .

ثم ان النصر في الحرب لا يدل على أفضلية مطلقة ... هل
تزن اسبرطة في التاريخ وزن أثينا وهي التي قهرتها وحكمتها ؟
اين اسبرطة من أثينا في القديم والحديث ؟ .

ان الذي القى القنبلة على هيروشيما كان يعمل لحساب رئيسه
في امريكا، فلا يدل هذا على أن القائد الأمريكي اكفأ من القائد
الياباني .

هذا حين لا تصلح الغاندية بدون غاندي .

ان الفكرة اخلد من العما .

ان فرنسا هي الأوبرا وفولتير وروسو ... وانجلترا هي بيكون
وشكسبير .

الأمم بالرغوس لا بالعضلات .

ويوم يسود الفكر سيظل عمل الجيوش . ان الذي أنهى
حرب فيتنام أن وجد بين المجندين الأمريكيين من يقول لماذا ؟
(ليه ؟) .

والذي أنهى استعمار فرنسا للجزائر أن قالت فرقة فرنسية
امرت بالسير الى الجزائر لماذا ؟ (ليه ؟) .

مثل هذه الاصوات تفيق الطغاة ..

لقد قتلت القوة الغاشمة لوشميدس بخبطة-عضا... وكذلك
العالم الفرنسى « لا موازيه » فى لهيب الثورة الفرنسية ...

ان العالم القديم كان أشبه بهوجات تطلو دوله موجة ،
وتمتد ثم تهبط وتنحسر لتأتى وراءها موجة أخرى . وهكذا بدأت
نصر العرض .

وهى فى جميع الأحوال لم تغيب الاضواء عن قسمااتها . ولما
جاء الاسلام كان يحمل معنى ونظرية « الأمة الواحدة » (كنتم
خير أمة أخرجت للناس) . فكل وال مسلم غلب اسلامه جنسيته ،
فلم تحس مصر بالقربية خاصة بعد اعتناقها الاسلام ثم تحمسها له
وهبتها للدفاع عنه ووفقتها معه وتمكينها له . لقد استقبلت مصر،
الاسلام ، بما فيه منها ... وبحسها الحضارى بما فيه من انفتاح
على الفكر وانسراح واحتضان للقيم تجاوبت مصر مع
الاسلام أخذت منه وأعطته على العكس من تركيا .. لأن
الأتراك أمة حرب ليس من طبعهم السماحة والوداعة والرحمة
والشفافية حتى التقى منهم كان فى عنجهية .. فقد روى الدكتور
أحمد أمين أن التركى كان يقف بباب المسجد وفى يده كبراج يجلد
به الرائحين والغادين ليدخلوا المسجد ويؤدوا الصلاة !

حتى الخلافة الاسلامية التى هبطت على تركيا من السماء ،
لم تستفد من هالتها وبركتها فلم تتفقه فى الدين، ولم تعدل فى الحكم،
ولم تتبحر فى العلم، ولم يشف وجدانها أو تتثقف روحها .

كان زواجها من الاسلام عقيما وانتهى بالطلاق على يد أتانورك .
وهى نهاية طبيعية على الرغم من فزع الكثيرين فى وقتها . ولم تجد
نصيحة شوقى لها (يا دولة السيف كونى دولة القلم) لأن القلم
موهبة وعطاء (يؤتى) و (لا يكون) ...

ثم يأتى كاتب مثل Levonian يشغل عمادة مدرسة الدين فى
أثينا ويحكم على العقلية الاسلامية بما اقترعته تركيا فى الخلافة

في كتابه : Moslem Mentality

وعدوا على مصر قائمة من أسماء الحكام ... ان ابن طولون والاضشيد والمعز وصلاح الدين كل هؤلاء اتخذوها منطلقا وحكموا، منها ، وبها قبل ان يحكموها .

حكموا باسم مصر وتوسعوا في الفتح بطاقات مصر وأسسوا الدول يظاهروهم مفتح مصر وثروتها وقدراتها الكثيرة مما لم يتوفر لهم في بلادهم الأصلية وبين أقوامهم انها عبقرية المكان أو روح المكان بها وبه من امتياز الموضع وشخصية الحضور فان الوجود في مصر شيء في ذاته يمنح صاحبه من طاقة القسرة ما لم يمنحه حتى في بلده الأصل. والمثل عند صلاح الدين ونور الدين فليس الأول بخيرهما ولكنه الأسعد حظا بوقفه مصر معه . ، تعرف هذا مصر فضلا عن اعتبار الدين واللغة ، ولهذا عندما جاء الأجنبي الحقيقي نابليون لم تطقه فلم ينصرم على وجوده القلق بها ثلاث سنوات حتى كانت أجلقه جلاء تاما عن ترابها. وليست مصر بدعا في هذا فقد استطاعت البابوية أن تحكم أوروبا على الرغم من الحدود ترونا بتأثير الفكرة الدينية .

الم يدافع زعماء منا متطرفون في وطنيتهم متحمسون في حبهم لمصر عن السلطان التركي باعتباره الخليفة وأمير المؤمنين ؟ ... من يدري لعل كثيرين نظروا الى سليم الأول على انه المنقذ من المهالك ! أو الرمضاء .

بل ليكن الحاكم من يكون فسد أم صلح ما دام لا يتعرض للأرض أو العرض أو الرزق . أما اذا مس أحد هؤلاء فان مصر تتمرد عليه كأمصى ما تكون . أمة كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه عن سعد زغلول .

وليكن هناك ناس عندهم استعداد أو موهبة الحكم . هل معاوية في التاريخ خير من علي ؟ ان أصحاب القيم عبادة لا يصلحون لحمل العصا . لقد رفض كثير من القضاة ، القضاء والولاية

ومنهم رجلنا الليث بن سعد . لقد عرض عليه حكم مصر فرفض
كما رفض القضاء ولكن السلطان والقاضي كان كل منهما يغشى في
نوائبه وحوائجه مجلس الليث التماسا للرأى أو التأييد فان استحقه
جاء عليه به امام مصر وفتيها . واذا أنكر رجلنا الليث من السلطان
أو القاضي أمرا كتب الى الخليفة فما يلبث أن يأتى الحاكم ، **العزل!**

لقد كان الليث ينهى عن مدح السلاطين وقد تكفل بمنصور
ابن عمار حتى لا يقف بباب السلطان ويمدحه رغبة أو رهبة .

ان استمرار مصر في صناعة الحضارة كان فيه رضى نفسها .
فالخلق والابتداع والتفنن هواها وهوايتها منذ القدم . . . اما الحكم
فلم يكن يهمها منه كما ظلت الا العدل فيها والتعفف عن أموالها
أو عدم الجشع والسطو . كان الحكم في نظرها مهما بلغ وظيفة
إدارية لا فن فيها حتى لتسميه في سخريه لا تخفى (الضبط
والربط) .

من أجل هذا كله زهد المصريون في الحكم واعتزوا بالسلطات
الحقيقية : السلطة الروحية أو السلطة الأدبية والفنية .

ان السلطان الحقيقى في عين مصر هو الفنان الذى لا سلطان
لأحد عليه ولو كان من أهل الحرف .

ان الواحد من هؤلاء اليدويين (معلم) ، ولعلميته أصول وتقاليده ،
وله احترام خاص وسمت معين . وحين فتىح سليم الأول مصر
جمع هؤلاء المهرة والفنانين وحملهم معه الى القسطنطينية . ودلالة
هذا بهر الغالب بفن مصر بهرا يسيل لعبه حتى ليعجز عن
مقاومته . . . ولم يؤثر عن سليم أنه أخذ فنانين وصناعا من مكان
آخر في الشرق كله . .

اعتبار آخر . . . ان المصرى حريص على ما يملك . . يبتى
ويصون . الخبز في مصر دون سائر البلاد (نعمة) و (عيش)

والمصرى لا يرمى لقمة ... وإذا وقعت منه على الأرض ينحنى يلتقطها ويرفعها في محاذاة عينه ثم يقبلها ... المباءة نعمة والأرض نعمة النعم ... والمصرى لا يبذل النعمة . ولهذا يفكر ألف مرة في (كيفية) رد العدوان عليه ... أن الروسى يحرق الأرض بعد أن ينسحب منها حتى لا ينتفع بها المغير . ولكن المصرى في الغزوات التى ابتلى بها كلها لم يفكر مرة واحدة في حرق الأرض ... كيف ؟ انه يعيشها .. لا يهون عليه حرقها ... السلب أهون ولو انه ألقى المرين . انه واثق أنه سيجمع أمره ويستردها ... مآلها اليه وحده فلا يشوه نصره المأمول بأضرار المحبوب .

والمصرى لا يتألم ... حين طلبنا وقف القتال سنة ١٩٦٧ الحزينة كان هم مثقفينا ، القاهرة .. الخوف على كنوز التاريخ فيها كما أعلن الفرنسيون ، باريس مدينة مفتوحة . لكل شعب طريقته في المقاومة وفلسفته .. الشعب المصرى كان ينظر الى الحاكمين نظرة الشاعر في أعماقه بقيمته وحضارته وتراثه ووراثاته الى البرابرة الذين لا يملكون الا الفضلات . فكان همه كله أن يحافظ على ذاتيته .. على قيمته وحضارته وتراثه ووراثاته بانتقاء ثمرهم أو اعتزالهم لاسيما اذا اتقوا ظلمه ...

كان المصريون يعتبرون بعض الغزوات ومادة همجية دفعتها قسوة الطبيعة في بيئتها الى الوادى الأخضر .. وبهذا تكون مصر اقلمتها مثل الغزوات التى جاءت من الغرب كغزوة الهكسوس الذين عنتهم مصر بكلمة (المحرومين) ، على الرغم من انتصارهم واستيلائهم على الدلتا . وهى صفة توحى باعتزاز النفس المصرية بذاتها المعنوية والمادية ... بذاتها الحضارية حتى ولو غلبت سياسيا ... فغزاة مصر اما « محرومون » يتطلعون الى الرخاء المصرى أو « برابرة همجيون » يطمعون في (الملك) المصرى .. ومن هذا المفهوم تنبع لفظة الهكسوس التى أطلقتها مصر على الآريين الذين هاجموا من الشمال الشرقى .

والمصرى دعونا نقولها واضحة وصريحة : . . . المصرى حكاه لم ينصفوه فالحكم مفسدة للقريب والغريب . . . لعل المصرى عند الغزو قال فى نفسه : أيموت دفعا من كرسى هؤلاء ؟ من يدري لعل هذا منبع حكيمته التى تقول (ما يموت على السد الا قليل الفلاحة) .

ما دام الشعب المصرى لا يغنم من الحكم مغنما حقيقيا فليتصارع على الحكم المتصارعون أيا كانوا ، وليعكف هو على عمله الذى يجبه ويحقق ذاته فيه . . . ان حكيمته واقعية لا نظرية وكم فى اعماق البسطاء من حكم . . .

فلسفة الشعب المصرى ان يتوقع على نفسه النفيسة ويصنع من دمومه فى محارته أو عزله ، لؤلؤة . . . فنا وصناعة وطرفا . . . يتوارث مهارتها خالفا عن سلف ويعتز بمعطياته فى هذا المجال فيجعل كما اثرت لكل (صناعة) حيا ومعلما . . .

ان الذى أمسك علينا شخصيتا بعد سنة ١٩٦٧ اننا لم نعتبرها هزيمة أمة . . . ولو فعلنا لانسحقنا . . . ولكننا غسلنا عارها بعد ست سنوات هى فى عمر الامم لحظة ، أو بعض ساعة . . .

لا كانت سنة ١٩٦٧ . . . لقد جرحت الهزيمة حتى البسبسات وسنبيل القمح ، ورقة الياسمين . . . جرحت السنين فى شيخوخة الآباء ، وجرحت نضارة الطفولة فى الأبناء . . . جرحت السرور فى القلب والكبرياء . . . جرحت الثقة والقدرة والآباء . . . جرحت الليالى . . . ليالى القاهرة فلم تعد عذبة ولم تعد مائنة ساحرة . . . وبكى الفجر فى الحقول حتى بلل الصبر ، وتشابهت الأيام فلم يدر بها العمر . . .

ومع هذا لم تعرف مصر ولم يعرف تاريخها حائط المبكى . . . كانت مصر فى الأعوام الستة تلجم جراحها وتجيع نفسها ، وتسبوعب خصائصها فى عملية تحضير للعب الدور الجديد الذى بدأ بالعبور ،

هذه هي شخصية مصر التي يرمز اليها النيل والهرم ... النيل
الذي كان التشريع المصري ينص على أن النيل اذا بلغ أربعة
وعشرين ذراعاً أصبح لزاماً على كل مصري من أى طبقة العمل
على حماية البلاد من فيضه ... ولعل شعورنا العميق بوجوب
التجمع والتوحد عند خطر النيل هو سر الحيوية المصرية التي
تستيقظ فجأة عند الخطر حين لاتدل الدلائل على هذه اليقظة قبل
وقوعها .

والهرم الثابت في وقفته ، الراسخ في هيئته ، الشامخ في كبرياء
وراءه وأمانه جلال الماضي ومواقب التاريخ ومعارك التاريخ
أيضاً ، ولكن بعد الفزوات والكبوات والانتصارات ظل هو معجزة
العلم والفن والحضارة ... معجزة مصر وشخصية مصر .

أين الغزاة ؟

ان مصر لا تموت ..

وان ما نشهده اليوم من ارادة التغيير والعمل والتحرير شاهد
لا يخيب على ارادة الحياة الكامنة في النفس المصرية بل التحدى
للقهر والالتم .. التحدى للصعب والعثرات ... وأسلوب مصر
الذي لا يتغير في تخطى المحن هو « العمل » .

ان الحضارة المصرية كلها احتفال بالعمل . كانت حياتهم قريانا ..
حياتهم نذروها للمجد ... وهنا ندرك معنى قول القائل (الموت
فن) فالمتحر عاجز عن الحياة ... عاجز عن تكريس الحياة لهدف
ونذرها له حتى تنفى دونه ..

لقد ادركت الحضارة المصرية منذ القدم بالبصيرة حكمة تغيب
عن كثير من المربين ، وهى أن الانسان لا تستقيم حياته ما لم يكن
في طريقه الى غاية كبيرة ، أو يشارك في عمل رائع ، أو هدف يثير
الانبهار

ان الناس يسمون المتفانى في الذكر « مجذوبا » ثم أطلقوها بعد هذا في غير موضعها . فكل من سخر من سحره مجذوبا ، مع أن المجذوب هو الذى أعطى بلا تردد في الرجوع ... اختار ...

وقد اختار الانسان المصرى صناعة الحضارة ... وصناعة الثقافة ... اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق وأن يجعل من نفسه مرقبا ومنطلقا للتشكيل ... للبناء ... للتشويق ... للرائع والجليل ...

والمصرى الاصيل دائما يعطى نفسه للقيمة فهو عندما يكون غالبا مستقرا يعطى نفسه للفن .. وعندما يكون جريحا مهيضا يعطى نفسه للنصر أو الشهادة .

ان شهداء المسيحية في مصر قد أعطوا أنفسهم لمعنى ... وقد ادركوا هذا جيدا وقصدوه..ومن ثم غنوا وهم في طريقهم الى أعواد المشائق ...

والمصرى الاصيل لا يعوقه شيء عن هدفه ... لقد كان أبو الهول في الأصل صخرة ضخمة تعترض طريق المصرى الى الهرم فشكلها تمثالا وأحال العائق الى فن رائع ...

ان فن المشربيات الذى ابتدعه العصر القبطى كان وراءه سبب قلة الخشب في مصر فأحال المصرى فقر الكم الى غنى الكيف ... شكلت مصر الخشب وهو قليل عندها ، أروع ما يكون التشكيل في تمثال ابن البلد ...

لقد نشأت التراجيديا في الأدب الغربى ولم تنشأ في الأدب المصرى . ولعل مقدمه نيتشه عن مولد التراجيديا تعلل هذه الظاهرة . فقد تساءل نيتشه لماذا ولد بطل احدى الكائنات الاسطورية ولماذا يعيش ؟ ثم خرج من حيرته بقوله : انه كان يجب (الا يولد) . وهذه

العبارة بمثابة رد على الموت ... على حين ان مصر لم تعترف بالموت ... اذن ليس هناك مأساة .

مصر من حبيها للحياة تجاهلت الموت بعدم الذكر أو تحدته بالارتفاع لموته . وبسرعة . ان قصة أوزوريس وست التي كان يمكن أن تشكل تراجيديا كبرى ، نقلتها مصر الى ساحة المحكمة أو ميدان الصراع . فالحوادث محاكمة أو نضال ... لم تقف مصر طويلا عند لحظة القتل لأنها تحيا ... لأنها لا تعترف بالموت نهاية ...

المصري يرتفع بسرعة على حزنه الكبير يرتفع عليه وهو يحسه في داخله احساسا عميقا . بل لعله بقدر هذا الاحساس يكون ارتفاعه ان البسطاء من المصريين وحدهم هم الذين أثر عنهم العويل واللطم لأنهم يرون الموت ساحقا يسحقهم وهم أبناء شعب يحب الحياة ، فيعيشون طويلا في الموقف .

ولكن الانسان المصري الوائق عندما يحزن يستقطب أله في داخله ، ويستدير هو يعيد البناء ... والثناهد كثيرة من تاريخها وعلى هذا لم تعرف مصر التراجيديا ... حتى المسيحية المصرية ركزت على الأم لا الصلب ... ركزت على الأم بحس بعيد من ايزيس وهاتور

الفكر الأوربي يقول أن الأفضل ألا تكون هناك حياة ... والفكر المصري يقول الحياة سرمد ولا موت ... حتى كتاب الموتى لم يعرف عندهم بهذا الاسم وان كان مضمونه طقوسا جنائزية ...

ان المصريين القدماء لم يرفضوا الموت فحسب بل رفضوا الشيخوخة أيضا ... ولهذا عنوا في أهراماتهم بصالة تجديد الحياة . وفي معبد هرم زوسر رسم للملك الشيخ وهو يجري جاسرا بعد أن علت سنه ، لتجديد نشاطه .

ان التراجيديا عند مصر الفرعونية تتمثل في ذبح الثور يقدمونه
قربانا ثم قال حكيهم (عمك الطيب أحسن عند الاله من
القربان) ...

اننا نلقن تاريخ مصر ولا نقرؤه وبهذا أضعنا المفتاح ... واننا
لكي نعيش عصرنا بأحداثه لا بد لنا ، في عملية البناء ، من رحلة في
النفس ومعاناة حقيقية بحثا عن المفتاح حتى يقوم الجسد على
أساس متين من ماضي هذا البلد بما وعى من تجارب
ومكابدة وذخائر .

هنا على هذه الأرض نضج الإنسان والنضج وعى .. والوعى
سمى ... انه تحريك القوى في كل مجال ... وهذا بعينه حدث
في مصر ... وهذا بعينه لابد أن يحدث في مصر اليوم اذا أردنا
الانتفاض والعمل ..

لقد شكلت مصر في « العصر العتيق » أى في الأسرة الاولى
والثانية قبل عصر بناء الاهرام ، شكلت مصر ذرات الصوان
وشكلت من البللور الصخرى الوانا من الآنية فيها الحس الصافي
للشكل . وليست المسألة التشكيل على ذروته ، ولكن « ادراك
القيمة » .

هذه هي شخصية مصر الذى دخل بها الفراعنة ، التاريخ
ووضعوا بصمتهم عليه ...

شخصية مصر التى هى وعى بالمقدس ، وارتفاع فوق الأحداث ،
وطموح حضارى .

ان الشخصية المصرية بهذا المعنى هى اعلى سد ضد
التقهقر والتخلف والتفسخ فى الداخل ، وضد الهجوم والتربص من
الخارج .

وان مصر التى كانت رائدة ثلاث مرات فى التاريخ مرة حين

ابتدعت الحضارة ، وأخرى في المسيحية ، وثالثة في الإسلام عليها
أن تبقى رائدة مرة رابعة وتحمل رسالة قديمة جديدة .والجدة هنا
تعنى وجود الرجال القادرين على « التحريك » أو كما يسميهم
توينبى : Those who know how الرجال العارفين بمنطق
الحدوث أى ما وراء وجود العهل الفنى ...

هذه هى شخصية مصر ... وأنا أعنى كلمة شخصية التى
يتوسع الكثيرون فى استعمالها مع أن « الشخصية » لفظ كبير
جدا فى المفهوم والدلالة حتى ليقول « يونج » ، (من أندر ما يمكن
أن تجد شخصية) .

الشخصية خلق جديد لا يتكرر ولا يقلد لأنها روح .. لأنها
عطاء .. لأنها سر .

ومع هذا فمن بين أطفالنا ساذج يقول : أنا لى شخصية !
وما درى أن أمته كلها شخصيتها النفيسة تسد تاهت وهى الآن
تعيش فى محاولة البحث عنها ... أو البحث عن مفتاح ...
لاسترجاعها ثم الإبقاء عليها ثم تنميتها بمتطلبات العصر الذى
نعيشه من خارجه،حين يفرض علينا دورنا الحضارى أن نستقطبه
ثم نزيده بفعالية وإضافات رائدة .

بقيت قضية :

الاقباط والمسلمون . من نحن ؟

الأقباط والمسلمون

ان المثقفين من المسلمين والاقباط يعلمون بالدراسة والوعى التاريخى ، أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الاسلام .

المسيحية جاءت من فلسطين .

والاسلام جاء من الجزيرة العربية .

وبعد تفكير وتمحيص للدين الواحد ولوقفها هى ، اختارت مصر المسيحية بل تبنتها ودافعت عنها **بالرأى والروح** .

ولاعتبارات فصلتها فى كتاب (شخصية مصر) بل فى هذا الكتاب دخلت مصر فى الاسلام أفواجا .. ولم يكن غريبا عن طبيعتها ، ولا عن مسيحيتها . ولهذا لم يكن اسلامها مسايرة أو تسليما ، ولكن كان اسلامها موقفا واستجابة وإيجابا ، فلم تلبث أن تحمست له ، ودافعت عنه **بالرأى والروح** .

وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت اليها كما لم يفعل أحد .

نشرت مصر الاسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد .

وبما تمثل المسيحية من وقفة مضر وموقفها ... من رأيها وشخصيتها ، نعز بالمسيحية مسلمين وأقباطا لأننا مصريون .

وبما يمثل الاسلام من سماحة مصر وتفتحها ... من احساسها بذاتها حتى لاتخشى الجديد ، لانها بالتاريخ الطويل تعرف أن لها في كل مسرح مكانها ومكانتها ... بهذا ، ولهذا ، نعتز بالاسلام اقباطا ومسلمين لاتنا مصريون ...

وامتدادا لهذا ، حين تهد مصر للعروبة يدا داعية او مستجيبة لما يخدم هذا، من مصالحها ويعزز دورها ويساندها ، لا املاء من فرد ، او تحقيقا لطموح شخص ، او اندفاعا بريضة ، فان العروبة هنا ، بما تمثل من رأى مصر نفسها ، نعتز بها اقباطا ومسلمين لاتنا مصريون ...

فلا يخط كائن بين الدين والجنسية ، كما والى في الماضى المسلمون (بعض منهم) الاتراك ، والاقباط (بعض منهم) الانجليز ... لا عن خيانة من الطرفين ولكن عن سطحية في التفكير والوطنية وما منع الاسلام تركيا ، ولا المسيحية انجلترا ، أن تظلم مصر كلها باستعمارها ، ثم باستغلالها ، وتعويقها ، وقهرها

الدين علاقة خاصة بين الله والانسان .

ولكن الوطن علاقة عامة اخطر أثرا ، لان الله غنى عن صلواتنا تحت جميع الاسماء . ولكن الوطن حياته بحياتنا ، وحياتنا بحياته **مقترنة ومطرده علوا وانخفاضا .**

الاديان جاءت بعد الانسان .

ونحن مصريون قبل الاديان والى آخر الزمان .

ليس الاقباط بالمسيحية فلسطينيين بل مصريين اعتنقوا المسيحية .

وليس المسلمون بالاسلام عربا ، بل مصريين اعتنقوا الاسلام حتى شكوا والى عمر بن عبد العزيز من نقص الجزية فقال

الخليفة الذى يعرف مصر جيدا لانها ريته في ولاية ابيه عبد العزيز ابن مروان (ان الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جاييا) ...

ولا يسمى هذا العرب بل يشرفهم . فلو ان نكون مصريين اسلمنا خير من ان نكون اعدادا من العرب في مصر ... ما الجديدي في هذا بالنسبة اليهم ؟ وما معنى خروجهم بالاسلام من الجزيرة العربية ، وتجاوزهم به الحدود اذن ؟ هل لم يؤمن به احد ؟ . وما معنى (بعثت الى الناس كافة ؟) واين عالمية الاسلام اذن ؟ ان لم يكن اهل البلاد المفتوحة اسلموا فهو دين محلى خاص .

والقاتلون من الاقباط بان المسلمين المصريين دخلاء ظننا منهم بسذاجة ان هذا يتيح لهم ان يتفردوا بمجد القدماء او بشرف الانتساب الى مصر ... لهؤلاء اقول :

هل يشرفهم ان يكون الدخلاء ، كما يقولون ، يشكلون اقلية والاصلاء هم الاقلية ؟ اما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فان كل فضل للأغلبية او للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلا واحدا يكمل بعضه بعضا ، امنا مصر وابونا النيل . وبينهما يتقاسمت الاخوة وقد يختلفون ، ولكن عندهما يلتقون ، واليهما ينتسبون .

وكيف يجوز في الفهم ان يزيع الفاتحون اهل البلاد ، لاسيما اذا كان اهل البلاد اقدم تاريخا وحضارة ؟

ان جيش الفتح في قول كان اربعة آلاف ، وفي قول ثمانية آلاف ، وفي قول ثالث بعد الامدادات ١٢ الفا ، ويمتد آخرون بالامدادات الى ٣٠ الفا .

واهل البلاد في قول ثمانية ملايين ، وفي قول عشرة ملايين ، وفي قول ١٢ مليونا .

فلو أخذنا بأكثر الاعداد بالنسبة للفاتحين .

وبأقل الاعداد بالنسبة للأصليين .

هل من المعقول أو حتى من اللامعقول المخبول أن ثلاثين ألفا ،
يضاف اليهم من لحق بهم من قبائلهم ولو كانوا أضعافاً أن يمسحوا
بلداً ، و **أى بلد** ، بلداً كمصر ، ويصيروا هم أصحابه أو أغلييته ؟
حتى إذا تجاوزنا أن الهجرات والقبائل كانت مقترنة بشخص الوالى
تخرج بخروجه ، وأن صلاح الدين الايوبي ضيق على بقايا القبائل
العربية واضطرها الى هجرة جديدة الى شمال أفريقيا ؟ حتى إذا
تجاوزنا هذا كله أو أسقطناه ، هل من المعقول أن الآلاف تناسلوا
فصاروا ملايين ، وعقم الملايين وصاروا آلافاً أو مليوناً أو بضعة
ملايين وفقاً لآخر احصاء ؟ أى منطق هذا ؟ ولصلحة من ؟

أيها أكرم لآخرة الوطن . . للأقباط أن نكون دخلاء أم أصلاء ؟
وإذا اعتسفنا المنطق نفسه وقتلنا ان المسيحيين المصريين
فلسطينيون باعتبار موطن المسيحية الاول (بيت لحم) ، أين مصر
اذن بين المسيحيين والمسلمين أى بين الفلسطينيين والعرب نتيجة
للنطق العجيب .

ان كل عقيدة دانت بها مصر وكل رأى قالت به ، وكل ميل
مارسته جزء من نسيج الشخصية المصرية ، الخطأ منه والصواب
اعترفنا أم أنكرنا . . . اننا بهذا كله ، مصريون .

المسيحية دين كتابى دانت به مصر وجعله الاسلام شرطاً للإيمان
به . فلن يكون المسلم مؤمناً حتى يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم
الآخر . والانجيل كتاب الله . . . وعيسى عليه السلام نبي الله .

والاسلام دين كتابى اعتنقته مصر بعد أن أصهر اليها وأعطت
رسوله دون غيرها ، الولد ، كما أعطت الولد ، قبله ، أبا الانبياء
ابراهيم .

يجب أن نلقن هذا الكبار قبل الصغار حتى لا تكون هقد
ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلنا مستعمر يفرق
ليسود ، أو جاهل بالدين والتاريخ يحسب التعصب تدينًا فيضر
بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل
أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر .

هذا في الداخل ، أما في الخارج فالتاريخ الحديث يشير بأصابعه
العشرة إلى سلاح رهيب من أسلحة الاستعمار . سلاح الوقعة بين
شطري الأمة الواحدة فعل هذا الكاتب الانجليزي جون بورنج
John Bouring في القرن التاسع عشر وشايعه ادوارد وكين
Edward wakin في الستينات من القرن العشرين في كتابه
(اقلية متوحدة) A Lonely Minority أو القصة الحديثة لاقباط
مصر خاصة في الفصل السادس عشر . . . وان لم يستطع أحد
أن ينكر التماثل بين الاقباط والمسلمين حتى كرومر في كتابه
مصر الحديثة Modern Egypt لم يستطع الفكك من هذه
الحقيقة وهى أن القبطى والمسلم انسان واحد هو في النهاية
الانسان المصرى . وانى أترجم حرفيا ما قاله في الفصل السادس
والثلاثين من كتابه (القبطى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، في
في السلوك واللغة والروح ، مسلم وان لم يدر كيف . فبالقبطيات
تتشبه بالمسلمات والأطفال تكييفوا هامة وعادات الزواج والجنائز
تشبه ما عند المسلمين) . وان كان يعزرو هذا في خبث
المستعمر ودهاء الخبيث إلى تأثر الاقلية بالأغلبية مستهدا الشواهد
من الهند بين المسلمين والهندوس . ولا أدل على تعصبه هو من
مهاجمته في أكثر من موضع ، مواطنه ادوارد ولیم لین لاعتداله
في كتابه عن المصريين المحدثين)

The Manners and Customs of Modern Egyptians.

والاقباط الذين يتعلل بهم كرومر ويتذرع بهم استعمار دولته قال
عنه أحد أعلامهم . وهو الأستاذ سلامة موسى في كتابه (تربية سلامة

موسى) ، (انه كان طاغية عاث وعريد في كياننا الاقتصادى والسياسى وعطل بلادنا عن التطور وانه كان جاهلا ينتشدق بعبارات لاتينية او اغريقية قديمة ولا يعرف شيئا من العلوم العصرية الجديدة) .

وقد فصل هذا بالأرقام والاحصاءات الاستاذ رشدى صالح في كتابه (كرومر في مصر) .

ويبدو أن خلفه جورست لم يكن اقل سوءا منه . فيروى الأستاذ سلامة موسى انه ابان الانبعاث الوطنى فى الأمة المصرية عهد جورست الى (مناورة استعمارية هى ايجاد الخلاف والشقاق بين المسلمين والاقباط ، فكان الموظفون الانجليز يحرضون الاقباط من ناحية على المسلمين ثم يعودون فيحرضون المسلمين من ناحية اخرى على الاقباط) .

ولم يقصر كتشنر فى هذا المضمار

انه الاستعمار دائما وراء الفتن . . فهو فى مصر يستهدف الوحدة الوطنية وهو فى الهند يعمق من عمق الصراع الدينى بين المسلمين والهندوس كما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (العسالم الاسلامى المحاصر) مثلما عمق الخلاف بين سنية الشمال وشيعة الجنوب فى العراق تفتيتا وتمزيقا للوحدة الوطنية فى الراسدين بل حاول الاستعمار القول بشيعة ايران قبل اسلاميتها تدميرا للوحدة الدينية بعد الوطنية .

واذا كانت المشكلة الطائفية تبدو قديمة فى العالم العربى ، فانها كما يقول الدكتور حمدان (لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار : هو الذى غذاها ان لم يكن خلقها ، وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده . وهل ننسى ، أن الصليبية — حتى الصليبية — تذرعت بحماية الشيعة من

السنين (كذا ١) ، فضلا بطبيعة الحال من زعمها حماية
المسيحيين من اضطهاد السلاجقة في الاراضى المقدسة ؟)

انى اقرأ الآن فى (الاستاذ) - الجزء الرابع من السنة الاولى
قول السيد عبد الله النديم (حتى فى الحروب الصليبية التى تحرك
لها عالم أوربا برمته وامتد قرنين وكان لمصر فيها الشان الاكبر
واليد القوية ولم يسمع ان مسلما تعدى على قبطى مع اشتغال
نيران الحروب . ولقد امتد ذلك حتى فى زمن الحركة الأخيرة -
يقصد الثورة العربية - التى كانت مظنة لحدوث فتنة بين المسلمين
والاقباط فانه لم يسمع بتعدى احد الفريقين على الآخر وعلى
الخصوص فى بلاد الصعيد التى يسكنها معظم الاقباط . وهذا كله
دليل على أن التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية) .

ويقول خطيب الثورة العربية فى موضع آخر :

(ومع كون الاقباط عاشوا دهرنا طويلا وهم اصحاب مشيئة
واحدة يأترون بأمر رئيسهم الدينى وينتهون بنهيه فانهم لم
يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف
ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الاسباب دينيا أو دنيويا ولا مالوا
للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية الى حرارة غيرها لعدم
الموجب) .

وقول عبد الله النديم يعود بنا الى الأمس البعيد والقريب . ففى
سنة ١٨٧٤ عندها شرعت نظارة الحقانية فى التحضير للمحاكم
المختلطة انضم بطرس غالى باشا الى محمد قندى باشا فى ترجمة
توانين هذه المحاكم الى اللغة العربية وتعريب التشريع الذى
ما زالت مصر تأخذ به الى اليوم

ان مصر بلدنا معا .

لقد انشأ بطرس غالى باشا الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١

فخطب في حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار
وعبد الله النديم .

وأقال الخديوي عباس الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر،
فخف إليه بطرس غالي باشا يعرض مسانئده ويقف الى جانبه .
لقد مات بطرس غالي باشا مقتولا برصاص ناصف الورداني ،
كما مات من بعده أحمد ماهر مقتولا برصاص محمود العيسوي
والقائل والقتيل في الحالين كانا يعملان لمصر من وجهتي نظر
مختلفتين .

ودافع محمد حسين هيكل عن بطرس غالي في كتابه (تراجم
مصرية وغربية) دفاعا جاوز حد الانصاف الى التعاطف، ولم يتخل
عن موقفه هذا حتى في حديثه عن (اتفاقية السودان) التي وقعها
بطرس غالي سنة ١٨٩٩ والتي حاول خصومه تحريف واقعها
ضده في شبه اجماع على تحميله وحده وزرها الذي صنعتها بعد
هذا احداث عدة وملابسات وأوضاع تلت توقيعها .

لم تعرف مصر التفرقة الدينية . . . لقد خدعها الاستعمار يوما
عن حقيقة قدرتها فأوهمها أنها بلد زراعي ليصرفها عن الصناعة
ويستبقيها سوقا لمنتجاته ولكنه لم يستطع أن يخدمها عن حقيقة
قيمتها فانهزم في كل مرة حاول فيها الوقية بين أبناءها مسيحيين
ومسلمين فاتحدت ثورتهم ضده بعد الاحتلال وسنة ١٩١٩ وسائر
الثورات الشعبية . وظل الابطاط أبدا كما يقول الدكتور جمال حمدان
(كتلة رصيفة رصينة من صميم جسم الأمة) .

ان الاسلام حضارته اسلامية نسجتها وأسهمت فيها البلاد
المفتوحة خاصة فارس ومصر بسابقة الحضارة فيها . . .
والاسلام، ينكر العصبية ويؤيد هذا الأستاذ صبحي وحيدة، وهو
مصري مسيحي في كتابه (أصول المسألة المصرية) .

كما يؤيد هذا اختيار الاسلام عواصمه الحضارية في دمشق وبغداد والقاهرة .

لقد ناصبت مصر ، الرومان ، العداء حين حاولوا التدخل في عقيدتها المسيحية أيام وثنيهم فقاتلتهم . وحين دانوا بالمسيحية وحاولوا التدخل في الطقوس والعبادات ثاومتهم . وتمسكت برأيها في هذا وأسلوبها فيه ، بل جنحت الى العناد فخالفتهم في الرأي لمجرد المخالفة ، خالفهم لونا من المساومة واعلان السخط والكراهية ، لونا من التحدى واثبات الوجود . وكان لمصر كنيسة لها الخاصة بها وبطريركها المنتمى اليها . مصرت مصر المسيحية (واستخرجت منها نسختها الخاصة : القبطية) .

هذا حين لم يصدم العرب ابان الفتح ، مصر ، في عقائدها وتقاليدها فعاد الرهبان من صوامعهم في الصحراء الى مزاوله وظائفهم الدينية السابقة ، كما لم يتدخل العرب في أسلوب الحياة اليومية بعباداتها وتقاليدها المميزة فبقيت كما هي الى يومنا هذا في الميلاد والاعياد والوقاة نمارسها الى اليوم مسلمين ومسيحيين . فليلة الحناء والصباحية والنقود والسبوع وكعك العيد المنقوش وكأنه قرص الشمس الذي اتخذه أخناتون شعارا ... كلها عادات مصرية قديمة .

ان مصر تهتم بالجواهر لا بالتفاصيل .. ونحن المصريين اليوم نتبادل زيارة الاولياء والتديسين دون شعور بالتفرقة أو التعصب ... كلها في نظرنا مزارات .

بل اننا كنا في القرون الاولى من الفتح نتبادل (قتاديل) الكنائس وجامع مهرو عند الاحتفالات الدينية .

وهناك اعياد تجمعنا معا امة واحدة كما كنا قبل الايمان فعيد الربيع ووفاء النيل . ليلة النقطة ... كل هذه اعياد مصرية قديمة صاحبتنا مع الزمن وصاحبناها الى يومنا هذا .

ان جوهر الدين في مصر ، في كل عصورها ، واحد . فالوثنية المصرية القديمة في جوهرها الاصلى ادراك للخالد خلال العساير وقد وصل الخاصة عندهم الى التجريد والى فكرة الاله الواحد . .

وعلى الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية اللتان تأثر بهما الاسلام وأقرهما . . . وان مصر حين دانت بالمسيحية فانما دانت بها لانها تعبر عن ضميرها بل ان الديانة المصرية القديمة في آخر عهدها أوشكت أن تكون مسيحية قبل المسيح بها نزعت اليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يثست من العالم الخارجى وأضت الى الصحراء ، وآوت الى العزلة للتأمل والتبتل . فمصر في عهدها القديم عرفت النسك كما سنت الرهبانية في المسيحية وعنها انتقلت الى أوربا أجل منحة أهدتها المسيحية المصرية الى المسيحية الأوربية بل يرجحون أن تكون طبيعة مصر هي التي أوحى الى اليهود بعبادة التنسك فالصحراء في مصر شديدة القرب من أى شخص يريد اعتزال العالم .

واذ تأصل في مصر هذا الطابع لعبت دورا كبيرا في التصوف الاسلامى شهد به ماسينيون وبركلمان حين أطلقا على (ذى النون) واضح الحجر الاساسى في صرح التصوف الثيوزوفى الاسلامى .

وتؤيد هذه المصادر الاسلامية ومن بينها الرسالة للتشيرى والطبقات للشعرانى والكواكب الدرية للمناوى وحلية الاولياء لابى نعيم الاصبهانى واللمع للسراج الطوسى وكشف الحجب للهجویری وكذلك الرازى والترمذى . . . جميعهم اتفقوا على انه وحيد دهره علما وعبادة ومعرفة وأدبا .

وكان ذو النون كثير الملازمة لبريا اخميم وهى بيت من بيوت الحكمة القديمة . وهنا يلوح الأستاذ الخولى الوراثة المصرية في حياة ذى النون وأسلوب تفكيره .

لقد جاء الاسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر اليها بصورة ما بالفطرة السليمة والدفع الحضارى معا . . . ان الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل أن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية في أصلها الى معبودات مصرية . . . ليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلدته من أهرامات ومعابد بما عليها من نقوش وتلوين وما ضمته من تماثيل . . . ليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصرى ؟

يقول الأستاذ عبد الحليم الجندى فى كتابه (الامام الشافعى) ان تقدماء المصريين (هم أول من فحص أحكام البيع والشراء وواجبوا الكتابة أو الاقرار لاثبات ما ينشأ عن العقد المكتوب ، وحرموا زيادة الفوائد على ثلث رأس المال فى السنة وعن أصل الدين مهما طال الأجل ، وحرموا الربح المركب ، ومنعوا استرقاق المدين للوفاء بدينه . . . بل أن ما فى الألواح الاثنى عشر ذاتها ، من قانون طبيعى كان تقليدا لمصر) .

ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ إسميت (هيئة خنزير وفقا عين (حورس) فحرمت الديانة المصرية اكل لحم الخنزير .

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب (الحضارة الطبية فى مصر القديمة) « أمر ليس بالغريب خاصة وأنه نابع عقائديا » ويقول هذا الكتاب ان (النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القومية) . . .

يقول د. ١ . ل. كويلاند : (بلغ المصريون شأوا من الانسانية

السحرة لا يرقى اليه الشك ، واذا نحن قسنا المصريين بمقاييس
عصرهم ألفيناهم أقل قسوة من غيرهم ثم هم كانوا مشغوفين
بالنظافة) .

وهكذا كان الاسلام كالمسيحية فيه الكثير من مألوف مصر .
لقد وجد الاسلام في مصر جوا مهياً ... ولأمر ما تأصل الاسلام
في مصر تأصيلاً لم يبلغه في مكان آخر حتى ان مصر هي التي دافعت
عنه في مواقعه الكبرى وقامت له فيها أقدم واكبر جامعة اسلامية .
التقوى الحقيقية عند مصر هي **الحب** ... حب الله وحب المعنى
.. وحب الانسان .. وحب الحيوان ... وحب الاشياء .

ان التعاطف مع الانسان والحيوان والاشياء المبتوثة صورة
ورسومه في لوحاتهم رمزا للطيبة والودادة التي تصادق كل شيء ،
رمز ايمانهم بوحدة الوجود قبل الفلاسفة والمتصوفة وأصحاب
النظريات لا باعتبارها عرفاً واصطلاحاً ، بل باعتبارها كما يقول
الاستاذ حامد سعيد ، موقفاً تجاه الحياة تتحقق فيه قيم ومشاعر
الرواقية والمسيحية والصوفية والبطولات النفسية دون أن تكون
واحدة من هؤلاء بالذات) .

التقوى الحقيقية عند مصر تتمثل في .. **الفن** . حين جسمت
عقائدها في الروح والبعث والخلود أهرامات ومعابد ونقوشاً وهكذا
كان الفن عند مصر مدخلاً الى الدين حين يفهم عباد النصوص من
لادين معنى الخوف من العقاب والرهبة من الحساب والفزع من
النار ... وقمة التمسك بالدين في رأيهم هو التعصب له !!

وفي الفن المصري تعانق الاسلام والمسيحية لانهما معا
ينبعان من الفن المصري القديم . وفي مكتبة جونا كما يقول الدكتور
عبد العزيز مرزوق في كتابه (الفن المصري الاسلامي) « في مخينة
ميونخ رق يتضمن صفحة من القرآن بها زخارف بسيطة وأشرطة

تفصل بين السور بعضها وبعض تتضمن زخارف هندسية متأثرة
بالفن القبطى الى حد بعيد . »

ان جلود الكتب فى العصر الاسلامى انما يحدد تاريخها الكتابة
القبطية الموجودة على اوراق البردى المستعملة فيها .

وليس البردى وحده أو زخرفة الكتب ، بل أن التقاليد القبطية
فى زخرفة الخشب استمرت سائدة بعد الفتح العربى . . ويضم
المتحف الاسلامى الكثير مما يجمع بين الزخارف القبطية والكتابة
العربية .

إذا يشهد المسلمون . . . وبروعة الزخرفة الاسلامية يشهد
المسيحيون ، فالاستاذ بشر فارس فى كتابه القيم (سر الزخرفة
الاسلامية) يقول (ما أحسبك تلقى ملة كبيرة تحضرت فانست
باللطيف والحقيق من العمران ، تسلم سكناتها لأسرار دينها ،
وتوثق اشاراتها بأحكام مفروضة ، فوق ما أسلمت الملة الاسلامية
وأوثقت) .

ومضى يفسر الزخرفة الاسلامية مستلهما روح الاسلام بما يشهد
بتفوقه فيه كبار الفنانين المسلمين .

لقد استعان العرب بقبط مصر ، خارجها أيضا فاستعان بهم
الوليد فى بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى وقصر امير المؤمنين ،
ويضيف « البلاذرى » فى فتوح البلدان مسجد المدبنة فيما اعانوا
عليه . وكان الوليد يترسم خطا أسلافه الذين استعانوا بأقباط
مصر فى اعادة بناء الكعبة قبل الاسلام . . وكان مصر منذ بنى
ابراهيم واسماعيل بن « هاجر » المصرية ، الكعبة آلت على نفسها
أن يكون البناء على يديها فعادت الى بناء الكعبة أيام الظاهر
بيبرس ، وفى العهد العثمانى ، وفى عهد محمد على .

ان أقباط مصر هم الذين بنوا أول محراب مجوف في الاسلام على مثال من حنية الكنيسة كما تأثر بفن مصر المسيحية في الزخرفة والبناء قصر المشتى في شرق الأردن الذى يلجح السدير الابيض والدير الأحمر بسوهاج . ومن عطاء مصر للفن الاسلامى بمعبد المحراب : المئذنة والقباب . جاء في كتاب فن مصر خلال العصور :

(ان فناء الاسكندرية الذى بهر الغرب عند فتح مصر ، هو الأصل الفنى للمئذنة) .

أن السموق الذى يزهر به النخيل المصرى ، يتمثل فى عمود المعبد والكنيسة ومئذنة المسجد معا وكأنه شوق الى أعلى وتوقا الى فوق .

لقد نهض المصريون أقباطا ومسلمين فى العصر الفاطمى — وهو العصر الذى يعتبره المؤرخون نقطة تحول فى تاريخ مصر من الناحية الدينية — بالفن الاسلامى المصرى نهضة فيها من احساس مصر ووجدانها وذوقها الحضارى ما أضفى على فن مصر الاسلامية طابعا مميزا. وشخصية فذة حتى أن بعض آثاره كمشهد الامام الشافعى يعد كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق منعدم النظير فى مصر بل وفى العالم الاسلامى أجمع .

ومن هذا المستوى مدرسة السلطان حسن التى أشاد بها الرحالة من شرقيين وغربيين وفى مقدمتهم المقريزى .

يقول الأستاذ محمد شفيق غريال فى كتابه (تكوين مصر) ، (ان طرائق الفن القبطى وأساليبه كانت عاملا من العوامل المؤثرة فى فنون مصر الاسلامية وصناعاتها وهذا دليل آخر على أهمية العنصر المسيحى فى تكوين مصر) .

لقد تعاقب الاسلام والمسيحية حتى فى علوم اللغة والدين .

فمن (ورش) المصرى القبطى الذائع الشهرة فى علم القراءات
أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق بن عمر بن
يسار المصرى .

ومن رجال مصر من الأقباط الذين أسهموا فى التأليف فى علوم
العربية وآدابها :

سعيد بن بطريق ، وبنو العسال وجرجس بن العميد المعروف
بابن المكين صاحب كتاب (تاريخ المسلمين) والمفضل بن أبى
الفضائل صاحب (نهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن
العميد) .

وبطرس أبو شاعر ويعرف بابن الراهب .

وابن كبر وهو شمس الرياسة أبو البركات .

وأسعد بن ممتى الشاعر الأديب صاحب الحظوة فى الدولة
الأيوبية .

ان مصر لم تعرف الفتن الأهلية الدموية كالتى وقعت فى إنجلترا فى عهد
تشارلس الأول وانتهت بقتله ، والتى وقعت فى فرنسا فى عهد لويس
السادس عشر ولم تنه بقتله فقط بل اشتدظمؤها للدماء فاستباحثت
الثورة عليه ، القتل ، حتى أتت على أصحابها أنفسهم . وما تخلل
هذا كله من مآس فصلها الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (ديوان
التحقيق والمحكمات الكبرى) .

لم تعرف مصر الحروب التى دارت بين المدن اليونانية . ولم تعرف
مصر محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق وما وقع فى أسبانيا من
الأحداث الدامية بسبب التعصب الدينى من أناس يدينون بدين
الرحمة والمحبة والخير .

ان من يقرأ محاكمة الليدى جان جراى ملكة انجلترا يتبين ان الدافع القوى على اعدامها هو كونها بروتستنتية حين كانت الملكة مارى تيودور التى حاكمتها كاثوليكية !! . اما التعللات الأخرى فمارى تعلم جيدا ان جان جراى ذات السبعة عشر ربيعا لا يد لها فيها ولا مطمع لها ، كان ، فى العرش .

لقد عرفت مصر حياة الدين ، ولكنها لم تعرف التعصب فى الدين
أو الضغن بسببه فسلم الدين فيها كما يقول الأستاذ العقاد — فى كتابه عن (سعد زغلول) — (من لوثة العصبية العمياء وقسوة الهمجية الرعناء وسلم تاريخ مصر كله من المذابح الطائفية الا ان يتسلل اليها من طائفة غريبة او نحلة دخيلة) .

حدث فى القرن السابع الهجرى ان كثرت الفرق والنحل واشتد الخلاف بينها فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق بين المذاهب الأربعة .

واذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصريا فقط فى هذا الشاهد فاننا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرانى ، وهو أصيل فى الفقه فضلا عن كونه صوفيا من الطراز الاول . وتحاول التوفيق بين المذاهب الأربعة ك محاولته التوفيق بين أهل الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا ..) .

لم تعرف مصر التفرقة حتى فى الخصومة ... لقد كان جيش سيقى الاول يتكون من ثلاث فرق .. فرقة (آمون) وفرقة (بتاح) وفرقة (رع) فلما جاء رمسيس الثانى اضاف اليها فرقة (ست) . وفى هذه الاضافة دلالة بعيدة المدى (مست) هو الذى قتل اخاه لوزوريس) معبود مصر الذى يرمز الى النيل والخير والخصب ولكن

عند الخطر تذبذب الخصومات ، ويشترك (ست) في الدفاع عن
الوادي بل أكثر من هذا هناك على جدران المعابد صور تجمع
بين إيزيس نفسها وبين ست يرفعان معا شيئا واحدا . II

يقول الأستاذ العقاد (ينقض التاريخ كل ما يقال عن التفرقة
بين عناصر الوطنية المصرية .. فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين
والمسيحيين سواء في تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء
وهؤلاء في الاصلية والتقدم عند الانتساب الى هذه البلاد) .

ويقول الدكتور سليمان حزين في بحثه عن (سكان مصر
ودراسة تاريخهم الجنسي أن الطابع الجنسي العام للمصريين
قد وحدا واتخذ صورته المميزة قبل أن يكون هناك أقباط ومسلمون .

رحم الله الشاعر ولي الدين يكن حين قال :

ابنى المسيح وأحمد انتبهوا	ودعوا رجالا منكم هجموا
أرواحكم من بعضها قطع	وجسومكم من بعضها بضع
لاتحسبن خلافكم ورعا	ان أئسلافكم هو الورع

ويعمد المفاهيم الثابتة نأتى الى مفاهيم بل قيم شريفة في
حياتنا ولكننا أخطأنا فهمها ، فأخطأنا بدوره ما فيها من أضافة
وثرء

اول هذه القيم الرفيعة : الدين .

الدين

الدين أى عبارة الداخل ولا أقصد بالدين حرفية النصومي
والطقوس فالدين ليس تسليما ذهنيا انها الدين بيدن الحياه ...
أسلوب حياة .. موقف دينى يفسره أسلوب السلوك .

الدين كما يقول بتراند رسل وهو فى نظر الكثيرين ، خارج
على الدين ، كلمة لها معانى كثيرة وتاريخ طويل .. ومن الناس
متدينون دون أن يكون فى طبيعتهم أى شئ يستحق أن يسمى ديننا
فهم خليو البال من التاريخ أو الخبرة الانسانية التى تجعل للطقوس
منهم قيمة .

ان الناس يصدرون فى أعمالهم عن أصول ثلاثة متقاربة وأن
كانت متميزة : الغريزة ، العقل ، الروح .

وحياة الروح بين الثلاثة هى التى تصنع الدين .

وما يتبع حياة الروح ، الاحترام والعبادة والامتنان للبشرية
والدينونة لها ... وأعمق من هذا يستكن الاحساس بسر لا تعلم
غير شطر منه .. سر حكمة مبهمه ومجنخاف لرؤية متغيرة الصورة
تلفد فيها الأشياء أهميتها الثابتة حتى لتصبح قناعا رقيقا نرى
خلفه الحقيقة القصوى لهذا العالم ... فمصدر الدين أمثال هذه
المشاعر التى لو قدر لها أن تتلاشى ، لتلاشى من الحياة خيم
ما فيها ...

لقد قاست الروح من الجمع بينها وبين الدين التقليدى
ومن عداوتها لانتكار الذات أى السلبية التى يتهم بها الجاهل ،
المسيحية : لأن الروح تقدس الذات وترفعها وتعيد بناءها .

حياة الروح يقينية بقدر ما هى قادرة على اغناء الوجود الفردى
... انها تمنح بهجة الرؤية .

ان سمة القداسة الفرح .

البشر ايناس .. شعاع من الرحمة .. عطاء من الحب ..
خصب حتى ليقول الشاعر البسيط :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

ولامر ما سميت الانسانية ، بشرية

والى البشر نسب الله نجاح الدعوة الاسلامية (ولو كنت قظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ولهذا كان اقصى وأقصى عتاب للرسول الكريم الآية (عبس
وتولى) .

هل جرينا مرة أن نرسم قرن الخروف مثلا ؟ وأن نرسم المحارة ؟
وهل لاحظنا الشبه بينهما ؟ ان الجزء الأعلى من المحارة يشبه
القرن ولكن الفرق ان القرن فى حركته المنحنية يعتمر نفسه من
العذاب ثم لا يزيد فظل جزءا من حيوان . حين تجتاز المحارة
مرحلة العذاب الـ *twisting* هذه وتنفج على البحر ... البحر
الكبير الواسع فاحتوت أعلى ما فيه ... اللؤلؤ ... وصارت هى
وما تحتويه متعة وزينة وثرأ كبير ...

فليس من الدين اذن الكآبة أو الدروشة ، والمخرقة ، والعجز .
والحرمان .

ان الروح تحرر أولئك الذين يثابرون عليها من سجن العاطفة الشخصية التي تعكف على الاهتمامات الدنيا .

هذه الرؤية تمنح الحرية والجمال والحب لأفكار الانسان ولعلاقته مع الآخرين .

انها تهيب الحلول بشروطها

انها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة

وترد الشارد الى مكانه من حياة الانسان

ان السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا الى هذه الدنيا الا عن طريق الروح .

لقد كان « نيتشه » غريزة قوية وعقلا جبارا . ولكنه افتقد لمسة الزوج، لمضى سنه العشرة الأخيرة في مستشفى الأمراض العصبية .

ان مشكلة فلسطين لا تحتاج الى ذكاء يدرك عدالتها وسع هذا هي مشكلة الأذكاء من أقطاب العصر لانهم أذكاء العقل لا القلب والروح .

يتساءل « اقبال » هل الدين أمر ممكن ؟

في رأيه ان الدين تجربة . . . سعى صادق صحيح يمحى مستوى الانسان . انه تجربة ، كالعلم سواء بسواء ، في محاولة كشف الذات بوصفها فردا ، أعبق من نفس الفرد العادي القابلة للوصف التصوري .

واذا نظرنا في كتاب The View of Life الذي ألفه رادها

كريشنا والرجل من أصحاب النظرة البانورامية الى الثقافة البشرية، وجدناه يعرف الدين بأنه أمر داخلي وشخصي يوجد رابطا كل القيم

وينظما عضويا لكل الخبرات .. انه استجابة (كل) الانسان
(لكل) الحقيقة .

فليس الدين الرؤية الخلقية فحسب .

وليس الدين الرؤية الصوفية فحسب .

وليس الدين شكلا من أشكال المعرفة كما يقول هيجل ، والدين
ليس مجرد ظاهرة اجتماعية .

عرف وايتهد وهو استاذ برتراند رسل ، الدين ، بأنه امر
توحدى ماذا لم تتوحد على الاطلاق فلسفتنا على الاطلاق .
فالدين هو وعى الانسان بفرديته .. بقيمته الانسانية
الشخصية ...

هذه نظرة الهند الى الدين .

أما الصين فتقول بالتاو .

والتاو عند الصين يستحضر في الضمير ويتوحد معه . وهو صفاء
ونقاء ينبع عنه الانسان الطيب الغاضل .

وكما تتطلب التجربة العلمية التجرد من العواطف الشخصية
لتحقيق الموضوعية ، فان التجربة الدينية تتطلب صفاء النفس
لتحقيق الرؤية البعيدة التى تتكشف الحقيقة .

يقول لاوزا (٤٠٠ سنة ق.م) حكيم الصين و (لكل قوم هاد) :

(قبل ان تخلق السماء والارض ، كان شيئا بلا صورة ولكنه
كامل .. صامت .. خلاء .. لذاته كفاء .. لا يتغير .. قادر على
التحرك فى كل اتجاه ولا ينفد .

انه أم أو أصل لكل ما تحت السماء أو على الأرض .

نحن لا نعرف كيف نصفه .
كيف نسميه على وجه التحقيق .
ولكى نكتب عنه نسميه (القاو) .
وإذا كان لابد من وصفه فنقول الأكبر والاسمى يغذى كل
الاشياء ولا يتعالى .
غنى عن الجميع .
ولما كانت كل الاشياء له بلا ادعاء فهو الأكبر لا يستدعى
وتأتى اليه الاشياء تلقائيا) .
وحكمة الصين حكمة بلد الخزف الذى أخذ اسمها فى كل مكان
وبلد «صينى» . حكمة قوامها الماء والائناء الائناء الذى تقول
عنه الصين انه (لولا الفضاء من الهواء داخله لما انتفع به
الانسان) اشارة الى التجرد من الاهواء الشخصية .
لما الماء فيتمثل حبها له فى لمسة الريشة للحرين .
ولسة الخزاف للائناء .
ومن حبها الماء تنحدر حكمتها مترقرة تقول (كن كالماء تنزل
من السماء لتستقر فى منخفض بئر أو مجرى ماء) فى محاولة للحث
على التواضع .
هل خرجت هذه النظريات كلها والأقوال جميعها فى مضمونها
عن معنى الخير ؟
ليست المسيحية يوم الأحد ولا الاسلام يوم الجمعة . . . الدين
قيمة يحققها المتدين فى حياته . . . يظلم المسيحية من ينسب اليها
ذلك الذى ألقى قنبلة على هيرودسيا . وهنا نفهم سر تفريق

الغزالي بقلبه الرهيف بين العلم بالقيمة قبل الاتصاف وبعد الاتصاف
أى عن معاناة ذاتية وخبرة داخلية وهو يتصد الاتصاف بالصدق .

اننا نهوى أن نتكلم عن الايمان فى قضاياها العقلانية .. مثلا :
واحد أم ثلاثة أثنائهم ! لنُدع هذا فان عز المسيحية فى موعظة
الجبل . هلا قرأنا الى جانب القرآن الكريم ، انجيل متى خاصة
الاصحاح الخامس والسادس ...

ان التدين الخارجى .. تدين الطقوس كالثقافة الآن ...
حلية ... مكتبة .. لكن ماذا دخل من هذه المكتبة فى كيان صاحبها
والى أى مدى وصل به الى نرى القيمة .. الى الأملق الانسانى
والأسمى .

احتاج أحد الصحابة عملية كى مؤلمة فى موضع من جسمه
وكان يتهيأ . فأنشأ أحدهم متهللاً كى وجد الحل ، بأن يتم الكى
وهو ساجد يصلح حتى لا يشعر به .

قد تكون القصة رمزية كما أرجح ، ولكن تبقى دلالتها وهى

الاستغراق .

ليس من الصلاة اذن الجهر والصياح والتظاهر بالتقوى رثاء
الناس واشتهاء المدح .

كان الحكيم المصرى امينوموبى يقول :

(صل من قلب مبتهج تظل فيه كل الكلمات مختفية فهو يصنع
ما أنت فى حاجة اليه) .

الصلاة صلة ... خلوص .. خشوع .. استغراق كامل ..
كم من المصلين الآن يقفون على عتبة هذا الاستغراق ؟

والوقت هو تحضير النفس للوقوف بين يذى الله ... وهو
أبعد من النظافة الظاهرة على تيمتها ... انه تطهير للحواس
كلها مما تكون قد أتته من مشاهدة الباطل ، أو قول الزور ، أو

مس المحرم ... انه غسل للنفس كلها قبل الوجه أو اليدين الى المرفقين .

ان قيمة محمد ليس في انه كان ناجحاً بالميزان الأمريكى اى تاجراً كاسباً ، ومتزوجاً من سيدة ثرية (سقة) ومحسوباً في مجتمعه ، ولكن قيمته انه بعد هذا اختار المطلب الشاق .. البحث عن الحقيقة ... فتعبد في غار حراء .. عزلة للتصفية والرؤية .. سياحة في داخل النفس ...

ان خلوده الى غار حراء من أجل الحقيقة يعلمنا أهمية العزلة الى جانب أهمية الاتيكيت في المجتمع .. لعلنا ان لم نصل الى الحقيقة فلا نل من أن نشاركها .

الحقيقة رؤية عندما يتطلع اليها الانسان يعطى عطاءه ...
مالفنان يبدع الرائعة الفنية ، والفيلسوف يضع النظام الفلسفى ، والعالم يضع النظرية ، والحقيقة ذاتها من الكثرة والوفرة بحيث تعبر الفلسفة والعلم والفن والقصة والمسرحية وسائر الألوان ثم يبقى منها غزير لا يفركه الادراك .

وهنا ندرك قول اينشتين بأهمية الخيال .. فالخيال شوق الى الحقيقة . وبالطبع اتصد خيال الرؤى لا خيال التوهمات .

وقد انتشر الاسلام بالخيال الذى هو ايقاظ النفس الى الحقيقة .. الى الجوهر ...

(أينما تولوا فثم وجه الله) .

فرؤية القرآن لله ، رؤية محيطه . ان القرآن الكريم حافل بالصور ولكنها ليست للتصوير الحسى ... انها رؤى ممتدة . يقول الله تعالى : (كلمة طيبة كشجرة طيبة) كيف تصور هذه الآية ؟

وقبل العلوم والفنون كان حوار رائع بين الانسان والحقيقة..
تتغير وسائل البحث ويكون بينها ما بين منطق العلم .. والخرافة.
ولكنها كلها تسعى الى الحقيقة بأسلوبها .

والاسلام رؤية جديدة للحقيقة ، فحين تستحضر المسيحية ملكوت
الله في القلب البشرى ، يستحضر الاسلام ملكوت الله في داخل
النفس وخارجها وما وراء المحسوس . وحين تمثل الفن الاسلامي
هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة وللحياة .

ان التوحيد ليس شهادة ببغاوية كما يفعل كثير من المسلمين .
ولكن التوحيد ذروة من الادراك الوجداني والذهني ، فهو في العلم
اجماع وتوثيق ... وهو في الصحة النفسية يعنى تكامل الشخصية
... وهو في السياسة يعنى ان الكل في واحد .. وهو عند
الشعراء والفنانين والمتصوفة يعنى وحدة العمل الفنى .
ان الوحدة علامة القيمة .

وقد حقق الفن الاسلامي الوحدة في تنوع ... كما ان روائع
بصر القديمة شاهدة على التوحيد والتنزيه ولكنه تفكير الخاصة
كأخناتون والفنانيين وهذا يدل على ان الاسلام دين الفطرة
السليمة في كل زمان ومكان .

الاسلام دين الفطرة ... فالفطرة السليمة تهتدى اليه بلا
نصوص كما فعل حي بن يقظان ... لقد شرح ابن طفيل المسألة
مقلانها ولكن التجربة الدينية التي أريدها ، بصيرة ... انفتاح
لا يعادى العقل ولكنه أبعد منه مدى ... انفتاح يرى الخلد لا يعنى
استمرار الزمن ولكنه يعنى ما وراء الزمن .

الصلاة صلة بين الله والانسان وهى في الاسلام تطهير للذات
وانفتاح بها للنور... وروح اليقين في الصلاة استشراف الى العالى .

الى السامى فى عملية مجاهدة وخلوص ... وهذا يفسر
الآية الكريمة :

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لماذا ؟
بفضل هذا النور .

ومن توفيقات العالمة انها تسمى negative الصورة
(عفرية) لانها سوداء معتمة . والشيطان او العفرية هو عكس
الله نور النور .

يقول كارليل Karille فى كتابه (الأبطال) لو لم يكن محبة
فيه (حقة) صدق لما استطاع دينه ان يعطى هذه الحضارة
كلها ...

ولكننا بمواضع عصرنا وواقع سلوكنا بعيدون عن التوحيد
... كل منا له هوى وكل منا يتخذ الهاه هواه وهى وثنية ..
الجاه وثن .. والوظيفة وثن .. والهوى وثن ... والشهرة
وثن ... والتعصب وثن ... ونحن نعيش فى هذه الأوثان على
الرغم من الايمان حين يقول اندريه مالروا ... ان المستقبل
للدين .

الدين جميعا .. فالدين خير كله ... لقد درس الدير هكسلى
فلسفات الهندو وبوذا ومصر ويونان والمسيحية والاسلام وخرج
من هذا كله بأن الكل يلتقون عند وحدة الوجود كما يقول فى كتابه:
Perennial Philosophy

ان الضلال هو عدم وجود معنى الوجود فى النفس

الدين حقيقة كبرى والحقيقة كالعروس ومهرها رياضة النفس
الناظر من الشوائب والاهتمامات الصغيرة فى حياة كل يوم ...
فالله حين يقول عن القرآن الكريم (لايمسه الا المطهرون) لايقصد
(اللبس) ، ولكن يقصد اللمسة التى تشعل الروح وتسعد القلب
وتفتح للنفس آفاقا بعباد ...

وهذه اللبسة لا تتحقق الا بالصفاء فيتكشف لصاحبها المكنون
فإذا به قد أبصر بعد أن رأى . وما أبعد الفرق بين النظر
والبصر . . . لقد انتظر الصينيون بوذا طويلا ليعظهم فلما أقبل
عليهم رفع في يده زهرة ولكنهم رأوا ولم يبصروا ، اذ سالوه أن
يعظهم ولكنه صمت صمتا نبيلًا كما يقول الانجليز

He mentain a noble silence

Sermon of the flower ويسمون هذه القصة

قال الله تعالى لموسى (اخلع نعليك انك بالوادي المقدس
طوى . .) انها دعوة الى نظافة الروح والبدن حتى يستطيع
المرء أن يقترب من الرحبات العليا .

فسر الرازي القرآن في ٣٠ جزءا . . وذات يوم رأى في المنام
أنه دخل الجنة . وانه سئل اعترف لماذا دخلت الجنة ؟ فقال على
الفور كان الأمر بديهي :

— لاننى هسرت القرآن .

فقال صاحب السؤال : لا ولكن لانك صبرت على فاموسة
وقفت على قلمك تشرب منه

وفي هذه دلالة كبيرة وعميقة . فان العطاء من أى حجم ولون
أقرب الى الله من تفسير القرآن . . . والحرية اكبر من العطاء .
هذا هو معنى الدين .

تسريح كفك برفوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

كان أحمد بن حنبل يحدث ابنته كثيرا عن الامام الشافعى على
انه الأمل المرجى والرجاء المأمول .

وذات يوم زار الشافعى ، الامام أحمد بن حنبل وبات عنده .
فلم تنم الفتاة وأطل فضولها كله وفضول النساء من عينيها ترتب

حركات الشافعى وسكناته ... وبعد ساعتين قام أبوها من نومه وتوضأ وأخذ يصلى الليل كله ونظرت الفتاة الى الشافعى فوجدته نائما أو هكذا يبدو ...

وفي الصباح سأل أبوها ، ضيفه ، الشافعى :

— كيف قضيت ليلتك .

— على خير ما يقضى الليل ... لقد حلت وأنا مستلق على ظهري مائة مسألة مما يهم المسلمين .

هذا هو الدين فى قمته التى تعلو كثيرا على القيام والقعود ...

ان الذى يشغل كثيرين من المسلمين اليوم هو (نقض الوضوء)؛ مع ان هذه المشكلة الخطيرة يحلها كوب من الماء ... كوب واحد فقط يغسل به الوجه والكفان .. المكانان الظاهران والمعرضان لما يغسل من أجله والا فلماذا يغنى التيمم من الوضوء أحيانا ؟ ان المسألة إعداد ذهنى .

دعنا الأستاذ لطفى السيد ، وكان وقتئذ وكيل نيابة المنيا ، الشيخ محمد عبده فى طريق عودته من الخرطوم ... وحشد له علماء المدينة تكريما له . فاذا بهم يشكون له مر الشكوى من متاعبهم فى العمل أى فى الوعظ والارشاد . فلما سألهم الأستاذ الامام ، السبب ، قال قائلهم :

— اننا نزيد ونعيد للناس فى فرائض الوضوء دون جدوى ... مبتا نقول لهم (يغسل الوجه من ملبت الشعر حتى أسفل الذقن ، ومن شحمة الأذن اليسرى حتى شحمة الأذن اليمنى

ولم يدعه الشيخ محمد عبده يمضى فى الكلام أكثر من هذا .. وقال قولته المشهورة :

— يا فضيلة الشيخ .. كل واحد عارف وشه من غير مساح ..
هندق للرجال حديدته في جيبه !!

ان البربرية ليست اللون بل التحطيم وعدم الانتاج .

وحين قدس الدين العمل ، حنبا على الخطأ الذي يعنى
« التجريب » . فليس من الدين الوعيد والتهديد يعذاب الآخرة في
الخطب المنبرية المحفوظة أو المنقولة من الأوراق الصفراء اليابسة .
فان هروينا الحاضر من المسئولية سببه تركيزنا على خطورة
الخطأ عند الأطفال في المدارس ، وعند الكبار في المساجد .. كل
خطأ عيب وخطر وجسيم . لمأذا ؟ ان الخطأ طبيعى ..
والتجارب والخبرات مجموعة أخطاء ... ولهذا فطفلنا عندما يكبر
يخاف من المبادرة والعمل حتى لا يخطيء لانه طبع على جرم
الخطأ ...

هل سمعت قول النبى (ص) ، (من أخطأ فله أجر ومن أصاب
فله أجران) . ما معنى هذا الا أن يكون قد عنى جواز خطأ التجريب
والمحاولة والاجتهاد ؟

ليس لنا أن نخاف من الخطأ أو حتى الفشل . فما التجربة
والخبرة الا مجموعة أخطاء سابقة تعلم منها أصحابها ، الصواب .
وحين يعمل الانسان آمنا من الرهيبات والخوف فانه يقبل على
عمله في حماسة وفرحة .

وسعادة المرء في عمله ، الطريق الوحيد الى الاتقان .. كان
يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

(عندما أسمع دقة الأرميل حزينة ، أعرف أن هناك خطأ في
العمل ، وعندما أسمع دقة الأرميل سعيدة ، من سعادة العامل ،
أعرف أن العمل مضبوط) .

اننا اذا قرأنا كتاب (يستان الرهبان)، التقينا بهذه العبارة
(محبة التعيين عون عظيم) ... هنا نسمع صوتا مصرية ...
زرت يوما سقارة ومعى طفلى فنظرت الى نقوش المعابد
وسألتنى :

لماذا كل هذا الفن فى القبور ؟ وكان جوابى فى اختصار :
— انه حب الحياة لا الموت .

وحين زرنا معا معبد ميراروكا ، أخذت تهرول بين الحجرات
وتعد ببراءة ، حتى اذا فرغت من العد والاعادة سألتنى كالمأخوذة:

— ان بالمعبد ثلاثة وثلاثين قاعة مملوءة بالنقش واللون ...
هل تحتاج الجثة كل هذا المكان برؤاه وحلاه ؟ وصدقت ، ان المقبرة
عندهم لا توحى بالحزن .. انها متحف للفن يسعد الرأى . وتؤكد
اعتقادهم بوجود الروح .

ان الاحتفال بالعمل فى فرحة وغنائية ، ظاهرة يندر وجودها فى
من آخر ... وحركات العمل على الجدران ليست من نثر الحياة
بل هى من شعر المسرح أى « باليه » ...

ومن معجزات الحضارة المصرية أنها حققت هذا كله بأبسط
الوسائل .. وهو درس يجب أن نعيه لتعلم معنى الإرادة ، والعزم،
والطموح والاصرار ...

هذا هو الكفاح الذى نريد أن نطبع أولادنا على الايمان به
ليتسلم الشعلة جيل أفضل ، يعيد كتابة التاريخ .



ان الاعلام يركز على القيمة الاقتصادية للعمل وينسى دائما
القيمة الانسانية للعمل ... العمل المترع ببشرية العامل ...

أى حب صاحبه له ، لا العمل الذى تستطيع الآلة الاليكترونية
ان تؤدي أضعافه ..

ان الحضارة قيمة •

فالذى ينكلم أثناء العمل لا يعرف آداب العمل أو كرامته ..
آداب العمل هو الخلوص له • والخلوص نقطة لا ترى ... نقطة
تلاقي الكيان الانسانى بمنذوره ، مجبعا ، فى سن القلم أو الريشة
عند ملاستها للصفحة أو اللوحة •

هنا يكون العمل عطاء قلب ... وفى روض روح •

ان العمل الحديث لم يستأنس بعد ... انه يضى على الانسان
خيرات مادية ولكنه يسلبه انسانيته ... أى يحوله الى آلة •

لا استغناء عن الآلة •

لا اعود الى الوراء •

ولكن ما نريده هو استئناس وتصحيح للألة •

لقد قتلنا .. كما يقول هكسلى ، « الكرامت » أى الصنعة
اليدوية ، أى فن توليد الحب •

انما الآن نشيع اللاحب فى الحياة الحديثة أى « الآلية »
الحاسيب الاليكترونى حين يحرر الانسان من الأعمال الصغيرة ،
مقبول كما حررت المطبعة ، المؤلف ، من النسخ •

ولكن العقل الاليكترونى حين يلغى عمل الانسان او يطغى عليه
مرغوض • ان العمل ايمان •

ونحن حين نتهم الشهاب بقلة الايمان ، نفسى ان السبب اولاً ،
قلة العمل •

لماذا كانت حضارة مصر دينية ؟

لانها عملت مذائق حلاوة العمل فارتبطت بمعنى الكون .. ولهذا

تجد اشد الناس ايمانا ، الزارع ، حتى ولو كان اشدّهم تخلفا
او فقرا لأن الزارع يحنو على الأرض ويحننها ويستولدها

الدين يأمرنا بالنظر في ملكوت السماء والأرض في محاولة لقراءة
الافكار ... افكار الناس أقصد وافكار الأشياء ... ان الدنيا
عالم شتى وليس عالم الانسان بأوحدها ... هناك عالم الحيوان
وعالم الحشرات ... هناك عالم الافلاك وعالم البحار أما مملكة
النبات فعالم رائع له مقل كلى كما يقول اخوان الصفا .

حتى الفضاء ليس خلاء كما يبدو للعين المجردة .. انه حق
نشاط .. وهذا النشاط عندما نطلقه بحواسنا البشرية ، يبدو
الوانا مختلفة ، ومرئيات ... فزرقة السماء ليست فيها ، ولكن
في عيننا بتركيبها ووظائفها وخلاياها .. تمنها كما نقول ليس الالم
في المطواة ولكن في حركتها من جسم الانسان ...

يقول الدكتور حامد جوهر في مجلة المجمع العلمى ، انه عصر
البحار لا الفضاء . هبهم وصلوا الى الشمس فليس هذا الوصول
أعماق الفضاء ...

انه كما تنبش دجاجة في الأرض وتحسب نيشها «بحثا جيولوجيا»

يقول الدكتور محمود خيرى على ان قطر الشمس يعادل ١١٠
مرات قطر الأرض واذا ذكرنا طوله بالكيلومترات المعتادة فانه
يبلغ مليوناً وأربعمائة ألف. وان حجم الشمس بالنسبة للأرض يبلغ
مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف (١٣٠٥٠٠٠) مرة .

وهنا نقول : ما هي أمريكا أو روسيا بالنسبة الى الأرض ؟

ما هي الأرض كلها بالنسبة الى الشمس ؟

ذرة من غبار في مدينة الشمس لو ان الشمس مدينة .

ثم ما هذا كله مجتمعا ومتفرقا بالنسبة الى الله ؟

قتل الانسان ما اكفره . . . وما أجهله . . . هل أوتي من العلم
ألا قليلا . . . انه مارد اذا قيس بالميكروب الذى هو $\frac{1}{1000}$ من
المليمتر ولكن متى قيس الانسان أو حتى الاشياء بالحجم . . . ان
المقياس ، القيمة .

ان عصرنا يتسابق في محاولة اكتساب فضيلة علوم المسادة أى
الطبيعة والكيمياء فاكسب الفضائل والرذائل معا .

ان T. W. A لا تقاس بالطائر الصغير المهاجر الذى يطير
مسافات شاسعة على جناحه الدقيق . . . هذا هو معجزة القوة . . .

ان فضائل علوم الحياة ، الايمان بالقوة الأعظم .
التي تعطى من الطين الوردية والعنبة .

التي تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .
هذه وظيفة الثقافة

تضوى قيمة الدين وقيمة الحضارة
ان المدنية كما يقول الاستاذ مريت غالى في كتابه

Tradition for the Future تتطلب قبل كل شيء مجموعة من القيم ،
والآلات لا تهت بصلة الى القيم . وما لم تكن المدنية عناية حقيقية
برفع وتحسين الانسان لا تحسن الادوات التى يستعملها فلا امان
ولا اطمئنان

* * *

أعرف أن الانسان مولع بالخلاء يزدهيه النجاح والمال
والشهرة ولكنه حتى اذا كان غنيا ناجحا مشهورا ، ضعيف ضعيف

والقوة لله وحده .. والعزة لله وحده أما الإنسان فلن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ... يقولون عن عصرنا هذا مره مصر العلم وتارة عصر الفضاء وطورا عصر الذرة ... الخ ولكن ما أطلقه الإنسان في الفضاء وما اخترعه في الأرض ، صغير صغير الى جانب ما لا يحصى من عجائب مخلوقات الله ... ان دقائق التكوين في الحشرات التى يعتبرها الإنسان أتفه الاشياءحتى ليستخدمها في غضبه اذا اختار ، السباب ، سلاحا يشهره ! نىء مذهل حقا ..

علام الغرور اذن ؟ ليت الإنسان يرى أخوته فى الإنسانية ممن تمتلئ بهم المستشفيات ليعرف قوته الحقيقية .

ليته ينظر الى شجرة واحدة من ملايين الاشجار المنتشرة فى الطبيعة ويتأمل روعة الخلق فى كل ورقة منها وكل غصن ... يته يسمع سيمفونية الألوان فى روضة من الرياض أو موسيقى العبير ... ماذا يستطيع الإنسان ازاء هذا كله ؟ قصاراه أن يقلد وقد يتقن التقليد حتى تبدو وروده الصناعية وكأنها طبيعية ولكنها تظل بعد هذا ينقصها النبض والرفيف والشذى ... تنقصها الحياة .. أى ينقصها كل شىء ...

ليت الإنسان يتأمل عالم النمل ... وعالم النحل ومواهب الصبر فيهما والتنظيم والاحكام ثم يصنع عالمه هو بها يليق بالفارق الهائل بين الإنسان وسائر المخلوقات .

ليته ينظر كما قال المسيح الى زهرة **الهقل** ، انها لا تغزل ولا تنسج ولكن سليمان بكل عظمته لا يبلغ جمالها .

ان الذى ينظر الى الناس نظرة سطحية قريبة يجد فيهم موضوعا للتصنيف والتقسيم حسب الفروق التى تبدو لعدسته الصغيرة . ولكن أولئك الذين يرتقون الى قمة المعرفة ، يرون من فى السفح

أشباها اذ تدق الفروق حتى تكاد تتلاشى ... هل يفرق النيل بين
أبناء الوادى ؟ هل تفرق الشمس بين الناس أو حتى الشجر ؟
وكذلك البحر والليل ... وأهم من هذا كله ، الموت الذى لا يرحم
القبأ أو أذنايا ... الكل أمامه سواء من تبارى الطب فى انقاذه ،
ومن لم يجد ثمن الدواء ...

ان الانسان الحر هو الانسان الموضوعى لا التابع .. وقد تكون
التبعية لفكرة ثابتة أو متحركة .. وقد تكون التبعية لهوى يحجب
الرؤية الكاملة .. وقد تكون التبعية لضيق النظرة فلا ترى الا الظاهر
القريب ... حين تطوى النظرة البانورامية المسافات والابعاد
والاعماق .

لماذا لا نعامل الفقير كما نعامل الامير ليشب ابنائنا على
التواضع من سحر القدوة ، لان الفقير قبل أن توزع الاقدار
الثروات ، انسان له المشاعر نفسها وله قلب وله أعصاب ...
له التكوين العضوى للانسان . فما يحبه الواحد من الاحترام
والتقدير والمحبة ، هو نفسه ما يتمناه الفاقد .. لانه ، أيضا
انسان .

ثم ماذا يعرف الناس عن الحياة ، وما قبل الحياة ، وما بعد
الحياة ؟ هل أوتوا من العلم الا قليلا ؟ وحتى هذا القليل قابل للشك
والنفى والاثبات والتعديل والتغير .

ولكن الانسان المزهو بنفسه يخلو له أن يتعامل ويدعى التبحر فى
المعرفة ، ناسيا أن العلم وصل فى علمه الى أن عمر كوكب
الارض ألفى مليون سنة ، وأن عمر البشرية من هذين الالفين اثنا
هو المليون الاخير ، أى أن البشرية (وارد حديث) بلغة الموضة .
ترى ماذا يعرف المزهو بعلمه من هذا المليون بل الالفى مليون الاولى
الا ليته يعرف ... لو عرف لادرك حجم الكثير الذى ينقصه ...

وهنا يحضرنا تساؤل الاستاذ العقاد عن رأى أول فجر فى سماء الكون لاح ! .

كم شروق لم نره ؟ كم أصائل كم من الزهور نبتت ؟
ان الأرض ومن عليها وما عليها ليست الا كوكب فى المجموعة الشمسية وليست الأرض بأكبرها ..

ان فى جسم انسان واحد آلاف الخلايا الحية ... هل استطاع الانسان ان يخلق خلية واحدة ؟

ان قيمة الانسان فيها يعطيه وفيها ينفع الناس منسه ..
أما بشرته ولون عينيه وفراة جسمه فاشياء لا تدخل السرور الا على قلبه الفرد حين ينظر فى المرأة

وقد اكبرت الاديان (العطاء) .. عطاء القلب للحب ، وعطاء العقل للعلم ، وعطاء اليد للفقير ، وعطاء الوجه للضعيف ، وعطاء اللسان للتحية والتسليم والانساس والودادة .. حتى الكلمة الطيبة صدقة .

واذا آمتنا بالعطاء فان أحق الضعفاء بحناننا المريض والفقير ..
لقد بلغ الحنان على المريض ، بالحكيم المصرى امينوموى ؛ ان قال (كن مرضعا للمريض) كم فى كلمة (مرضع) من أبعاد فيها من حذب وحنان ورحمة وعطاء وحب رعم .

أعرف أن الانسان من طبعه يضيق بالمريض فخدمته شاقة وقد يكون مرضه منفرا ، والاقتراب منه فى هذه الحالة ، عبء نفسى ..
فأى ملائكية تلك التى تمنح مثل هذا الانسان ، لا الرعاية فحسب ، بل فيوضا من عطاء القلب والروح ؟

أما الفقير فهو انسان مجروح مهما بدا للعين سليما . فقد كان الاستاذ المازنى يقول : (الفقر فى المال فقر فى كل شئ) ..
والانسان الطيب الفاضل حقا هو الذى يوفر للفقير ، لا أقول

طعاما أو كساء ، بل يوفر له الكرامة والاحترام فلا يمتنعه أو
يذله بالمن أو التظاهر بالعطاء ، ويوفر له حياة فلا يعوزة حتى
يسأل .

لينا نترفق بالفقر فلا نلبس عطاءنا ثوب الحسنة المتفضلة
بل نلبسه معنى الاهداء بوداده ورقته حتى تطيب نفسه بأخذه .

لينا نتجاوز عن دينه عندنا أو بعضه ... أو حتى نتجنب
طريقه المعتاد ومجلسه حتى لا يشكل وجودنا نداء صامتا أو
مسموعا يتقاضاه ...

لينا نعطي الانسان ونعطي الاشياء أيضا فلها روح تبادل
وتتقبل ...

* * *

هذا عطاء القلب .. أما عطاء العقل ففي شجاعته .

من محفوظاتي في المدرسة قول شوقي :

أجد الشجاعة في الجسوم كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا

وحين اراد شاعرنا أن يزيد الأمر وضوحا ضرب المثل :

سقراط أعطى الكأس وهي منية شفتي محب يشتهي التقيينا
عرضوا الحياة عليه وهي ذليلة فأبى وأثر أن يموت نبينا

ومن العجيب انه ، بعد صدور الحكم عليه ، استمر يتحدث الى
تلاميذه في الفلسفة ! لم يزايله هذوء نفسه ، ووثوق
لهجته ... ونظر تلاميذه اليه ، والى الكأس أمامه مملوءة بالسم
الزعاف تنتظره ليشر بها ، وقالوا :

— ألا تحضر نفسك ؟

فابتسم وقال : لقد عشت طول عمرى أحضر نفسي لهذه
اللحظة .. أي يموت فيلسوفنا !

أسلوب موت .

بل أسلوب حياة .

ولكى نحكم على شخصية ، نعرف أولا موقفها من الحياة والموت . فلا تتعاطفنا مغامرات مصاصي الدماء و جاز الحروب ، فهذه شجاعة الجسم التى قد تفوقها ، شجاعه بهلوانات السرك الذين يخاطرون بحياتهم ، على الرغم من ابتسامتهم المرسومة ، حين يسيرون على الحبل أو السلك ، متعجلين يوم القيامة والمشي على الصراط .

ان الشجاعة شجاعة العقل حين ينصر الحق ، ويعلمن الراى، ويحارب الظلم ، فبقراط وجاليليو وذو النون والعز بن سلام والبويطى ، وقبل هؤلاء جميعا الانبياء ... ودعاة الحق ... هم الذين نسجوا من أيامهم حياتنا الفكرية والروحية ... حياتنا الحقيقية ...

ولكن اعلان الراى غير التعصب للراى ..

ان التعصب للراى ، سذاجة .

ان الحقيقة لها أكثر من وجه فلماذا لا نريد رؤية الجوانب الأخرى للموضوع؟ قد تكون أقل ولكننا لن نضار مغالبا سنكسب جيذا ...

ليس من الدين أن نقطع الطريق اذن فى المناقشة على الآخرين بل ننصت جيذا ... وجادلهم بالتي هى أحسن وليتنا نحتفظ بالصوت الخفيض الهادىء عند احتدام الجدل فانه أعمق أثرا وتأثيرا ، مستمعين الى الآية (وأغضض من صوتك) ... أن الجدل ليس الانتصار كما يفهم معظمنا لأننا ولدنا أزهرين قبل أن ينشأ الأزهر ، ولكن الجدل اختيار ... أن الذكى من يعرف

كيف يختار رأيه ثم كيف يطرحه .. ويبعث في نفسه ، شهوة الانتصار على الغير في مناقشة بنج بنجية تتقاذف الالفاظ فيها كما يتقاذف اللاعبون ، الكرة . فان تصاراه في هذه الحالة أن يخلف في نفسه مرارة الهزيمة أمامه وما أغناه عن هذا النذير .. نعم فسوف يحفظها له ... وفي أى مناسبة تواتيه سيقتصر من قدره ويهون من شأنه ليرد اعتباره أمام نفسه على الأقل .

المتدين والذكي لا يحترف الجدل فهواته خاسرون وان كسبوا .
ان السمع نوع من الكرم .. انه استقبال رأى ، واستضافة فكر جديد ... فكر آخر ... ان حسن التلقى فن .

المتدين لا يتعصب للون ، ولا يتعصب للدين نفسه ، ولا يتعصب للوطن ... نتمسك بديننا ونقدس وطننا ولكن التقوى غير التعصب ، والوطنية غير انكار الآخرين فهم أيضا مثلنا يحبون أوطانهم فلا ندع أعظم الفضائل الانسانية تغدو كما يقول V. H. Auden اسوأ العيوب البشرية ...

(لا يجرمنكم شئان قوم على الا تعدلوا ... أعدلوا هو اقرب للتقوى)

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

أرايت ان الله يدنى منه أعمننا ايها ، لا أشدنا جمالا ،
أو انصعنا بياضا .

(المؤمنون اخوة) .

الناس كلهم اخوة لأن الاسلام اعترف بهما سبقه من اديان وانبياء ... وهو اسلام من السلام . وحين عرف رسوله ، المسلم ، لم يربط حديثه من قريب أو بعيد بالطقوس ، بل قال (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وقال (الدين حسن الخلق) .

هذا هو الدين .

الدين دهبانة فى الخطاب ورفق ... هل من الدين ما حكاه
الدكتور طه حسين فى ، (الايام) ، من أن شيخه ناداه ، وهو
الطالب الضعيف الخائف من الامتحان ، (أقدم يا أعمى) ؟

فى اللغة الانجليزية حوار بين كفيف ومبصر يصف له الثلج نزولا
على رغبته قائلا :

انه أبيض كتوب الملائكة

خفيف كالفكرة

بطيء كما أقبل عينيك

... ..

هذه هى البلاغة الذكية ... فالوصف الذى يعتمد على الخيال
والمعنويات يسر الكفيف ولا يخرجه لانه وصف يستوى فيه المبصر
ومن أغلقت على النور نافذتاه ... وصف لا يشعر بالحرمان ولا
كذلك الذى يطعن به

الدين جعل الأمر شورى فلا يستبد أنسان برأيه ان منح
الفتة لمن حولنا يشحذ طاقاتهم لخدمتنا ... فليس من الرئاسة أن
ندس أنفنا فى كل شىء كذلك التركى الذى كان يوما وزير أوقاف فى
مصر، فحتم على الوزارة أن تعرض عليه كل ورقة صغيرة أم كبيرة .
فكان يكتب على كل ورقة مهما اختلف الموضوع :

(يجرى اللازم حسب الأصول) . ولم يقل يوما ، ما هو (اللازم)
وما هى (الأصول) ! مجرد تحكم .

ان الرئاسة شكل تنظيمى ولهذا يقول النبى (ص) (اذا كنتم

ثلاثة أمروا واحدا منكم) وهو يعنى التنظيم لإ الأمر . والنبي يعنى بهذا ، أن الرئاسة اختيار لا تعيين .

دين وذكاء أن يكون الإنسان مرنا متفهما رحب الأثق كبير القلب رقيق الحاشية يحترمه الجميع عن حب لا عن رهبة ... كان الشاعر الانجليزى كيتس يقول : (الشاعر لا شخصية له . فانا اذا كنت فى مجتمع أطفال ، فليتنى طفولتهم فأصبح بينهم طفلا . واذا كنت فى مجتمع سيدات ، أكون سيدة . واذا كنت بين أشجار) .

لقد كان « كيتس » فى هذه العبارة على الأقل ، رقيقا متواضعا ... فالذى قاله لا يعنى عدم الشخصية ولكنه يعنى العبقريه بعينها . ما يقوله هو الطفولة الخالدة سمة العظماء . فالإنسان العظيم هو الذى يملك قدرة الالتقاء مع الناس والأشياء ...

ولكن هذا الالتقاء أو القدرة عليه لا تعنى المسيرة الشامة ... فأحيانا كثيرة لا يعنى إجماع الناس ، الصواب ... وهنا لا يتعاطفنا الإجماع لنمض فى طريق الحق . أقولها وأنا أعلم أن القابض على دينه كالقابض على الجمر ... قد يسخر الناس من المستمسك بالحق ، وقد يحاربونه ، ولكنه المنتصر فى النهاية . وقد عاش سقراط خلال القرون ، ومات قضياته وقائلوه ... نستطيع أن ننقد ، ونقول أقسى المعانى دون أن نسيل جرحا . كيف ؟ هذه قصة :

تفتت سيدة طفلا . وبعد سنوات رزقت اطفالا .. وبدا لها أن تحدد الموقف . فأخذت الجميع فى رحلة ، خارجا ، فى عملية شرح للنفس قصد بها الطفل المثبنى أولا ... وفى جو متهىء خلت بالطفل وقالت له :

— هل أستطيع أن أثبتك على سر غال ؟
وأشرق وجه الطفل لهذا اللون من الايثار . وجرح بالثقبة
والمسئولية . وقال في حماس شديد : نعم .
هنا : انت السيدة في هدوء وحنان وذكاء :

— اخوتك هؤلاء أعطاهم لى الله . وليس لى فضل فيهم ، أو فى
اختيارهم . ولكننى اخترتك انت من بين الوف الأطفال ...
وفهم الصغير كل شيء دون أن يدمى قلبه ... بل أكثر من هذا
أنه غدا يعتز بدلالة الاختيار

الدين يعلمنا فن الصداقة حين يقول (لا تستوى الحسنة ولا
السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم)

دين وذكاء معنا أن نتفادى العداوة ما استطعنا ، فهى تخريب
للفنفس مهما كان الانسان على حق . ولاهون تخريب الخارج من
تخريب الداخل ...

لنزرع الحب ونتعهد لميلنمو ، ليس فى نفوس ابنائنا فحسب ، ولكن فى
نفوس الناس أيضا . وليس هذا بالأمر الصعب ، فان القلوب
كثيرا ما يلين تنافرها بالكلمة الحلوة ، أو الهدية البسيطة ، أو
السؤال العاطف ، أو الزيارة الحفية ، أو الدعوة الكريمة ، أو
حسن الاستماع ، أو اطراء ذوق الواقف أمامنا اذا رأينا لذلك موضعاً .
... وكلها أمور بسيطة لا تكلفنا كثيرا ... وتكليفها على كل حال
أرحم من العداوة ... اننا لانسع الناس بمالنا ولكن يسعهم منا
حسن الخلق ...

أما اذا فرضت العداوة علينا فرضاً فنقاوم ما استطعنا الفلو
فيها والمغالاة ... ان الله حين قال باسم الله الرحمن الرحيم

فإنما هو تأكيد للرحمة . وكان من الممكن أن يقول الرحمن العظيم
مثلا ، أو المنتقم الجبار ، ولكنه اختار الرحمة دون سائر أسمائه
الحسنى ...

حتى القاسى يستحق الرحمة لأنه محروم من النور ... نور
الحب ... القاسى ليس انسانا كاملا ... انه كسر انسان لانه
موتور مشروخ ... داخله شيء مكسور ... انسان غير سليم ...
لم يتكامل ذاتيا ...

وهل سنرى الرحم الا من الرحمة ؟ فالرحمة اساس الاخوة
والقربة ...

والرحمة والمودة اساس الزواج وزاد رحلة الحياة .
انها رحمة أن يضاعف الاسلام الجزاء في الحسنه ويقصره على
المثل في السيئة .

لقد كرم الله الانسان حين استهل القرآن الكريم بفاتحة تقتصر
من دون الموضوعات الكبرى على ما بين الله والانسان ، متوجسا
هذه العلاقة بالرحمة تظلل الانسان بالطمأنينة من لدن (الرحمن
الرحيم) .

ما هو الفن ؟

انه رحمة ورقق وحب . وما أبلغ لغتنا الشعبية حين تسمى
الصبي المبتدىء (غشيبا) ، لانه لم يكتسب بعد رفاة الاستاذية.
كتب مارييت عن الفراعنة ، أن عاملهم كان يقطع الحجر من الجبل
(وكأنه يقطعه من جلده) . وهى عبارة قد تمر عابرة عند القارئ
العابر. ولكنها عند المتأمل مثيرات على عدم الاستخفاف والهدر ...
مقياس وشاهد عميق على الحضارة والرعاية والاحساس ..
الاحساس بالقيمة .. والاحساس بالأشياء .. ومن
هنا نفهم الآية (قوارير من فضة قدرفناها تقديرًا) .

لماذا تعد الأسرة أصلا من أصول الحضارة كالزراعة ؟ لقد
كسبت هذا الاعتبار بما يشيع فيها من رفق ورحمة ...
ومنذ قديم قدست مصر (الأسرة) حين أحبت أوزوريس وايزيس
وابنهما حورس .

ان بداية الحضارة البيت ... البيت المبني على الرحمة ...
وغاية الحضارة أن يكون العالم كله بيتا .. والبيت بهذا لا يقل
عن المعبد والكنيسة والمسجد . ولكن **الحضارة الحديثة عدوان على
البيت** بتلويث الجو بالدخان ، وتلويث الاطمنان بالتنبلة
الذرية والنووية

الحضارة الحديثة خلقت مشاكل عملاقة ثم فشلت في خلق
الانسان العملاق الذى يحل هذه المشاكل .. فهل ننتظر هذا
الانسان من موطن الاديان في محاولة جادة مؤمنة لاعادة بناء
شخصيتنا ؟

لنسمع صوتنا للعالم المتحضر في دعوة كبيرة مصرية لحماية
الأسرة وتقاليدها ...

ان كل وسائل الحضارة الحديثة بقدر ما فيها من ترفيه واسعاد
للانسان بقدر ما فيها من مضار ان لم يقف وراءها وعى كبير
ناضج يميز الفروق بين خيرها وشرها . فان هذه المدنية ما زالت
كما يقول الدكتور احمد زكى (تجرية يمتحن بها أهلها ، كما
يمتحن مقتبسوها . وان أهل الغرب في محنة منها ، بالذى تأتي
به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ، لانها مدنية لم تبلغ بعد الغاية
منها ، وبعض أهدافها قد تحققت ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق ... »
على انها بعد هذا مدنية انسانية عالمية أساسها تحرير الفكر
الانسانى من قيوده ، وغايتها رفاهة الانسان واسعاده) .

وهكذا كما نرى المسألة مسألة تمييز بين الفروق دقيق .
ان مهنتنا شاقة ومتشعبة .

ان الفصوص الدينية تعاني من الحصانة المحوطة بها .

ذهب رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله في أمر
أحلال هو أم حرام فأرشدته ... ثم ذهب اليه مرة ثانية وثالثة
وهو يجيبه .. ثم توالى سؤال الرجل للرسول عن الحلال والحرام .
فقال بملء حكمة أصحاب الرسالات كلمته الجامعة :
— استفت قلبك .

وهكذا نرى أن المسألة ليست الحلال والحرام، إنما هي كما يقول
الشيخ شلتوت في تعريفه للمعروف : (هو ما تعارفت عليه الفطر...)
وبالتالي فإن المنكر هو ما أنكرته الفطر ...

واذا كان هذا هو رأى ذوى البصيرة من أصحاب الدين رسلا
وعلماء فما بالنا فيما هو دون ذلك مما تواضع عليه الناس من
مادات وتقاليد ، أو مما وضعوه من قوانين ؟

الإنسان هو سيد الموقف دائما ... بإيمانه واقتناعه وقيمه
ومبادئه .. فكم من جرائم ارتكبت باسم الدين مرة وباسم الوطن
تارة ، وباسم القانون طورا ، وباسم التقاليد حيناً آخر .

هل الذين عذبوا في محنة القول (بخلق القرآن) ومنهم رجلنا
« ذو النون » الذى سيق الى (المطيق) في بغداد .. هل هذا
من الدين فى شيء ؟

هل من الدين أن يحمل « البويطى » فى غل الحديد ويطرح
فى السجن مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يده الى عنقه ؟

هل من الدين ما اغترفه بعض البابوات فى القرون الوسطى من

تعذيب « غير المؤمنين » ؟ وهم أتباع رسول السلام والتسامح
والرحمة الذى وصى فى قلبه حتى « الخاطئة » ؟

أما السياسة فبحر من الدماء صبت فيه الثورة الفرنسية
وعهد الملكة ماري وهنرى الرابع فى إنجلترا ... كما صبت فيه من
قبل الدولة الأموية والعباسية الذى سمى أول خلفائها (السفاح) .

السياسة بحر من الدماء لعل أزكاها جميعا دم الشهيد ابن
الشهيد ، الحسين بن على سبط الرسول .

ومن العادات والتقاليد الأخذ بالثأر فى الصعيد .. ومن العادات
والتقاليد فى الهند دفن المرأة حية اذا مات عنها زوجها وكان من
العادات قبل الاسلام وأد البنات فى الجزيرة العربية .

فلا نجعل للعادات والتقاليد سلطانا علينا بغير حدود ولا نجعل
للقانون سلطانا علينا بغير مصلحة ظاهرة فيه لخير الناس ، فالذى
وضعه انسان يخطئ ويصيب ... بل لئجعل فى الدين وسيطا
بيننا وبين الله ... لنتجه اليه هو .. نستوحيه وحده ... وليكن
تديننا أملا فيه ، وعلما به ، وحبا لذاته أكبر كثيرا من الحلال
والحرام ... حبا ينكر فيه الانسان ذاته فيغدو فى شفاقة « ابن
الفارض » الذى يقول :

(نفسى فذاك عرفت أم لم تعرف) .

الدين سلام فى النفس وسلام مع الناس ... هو الهارموني
الذى ينتظم الأشياء ويستقر فى أعماقها ...

هذا هو الدين .

الفن

ومن الدين : الفن .

وهنا في هذا المكان من الدنيا ... نشأ من قديم، الوعى الدينى
وقام المعبد بفنونه كلها ... فن التشكيل وفن الرسم وفن التلوين .
وكان الفن أو هو كذلك ، تفسر للدين ومقدمة موسيقية له بما
يوقظ الروح ويفتح القلب لتلقى رثائق المعانى لتطرح فى النفس
وردا ... فالفن هو التقوى الحقيقية حين يفهم عباد النصوص
من الدين معنى الخوف من العقاب والرغبة من الحساب والفزع
من النار .

ان الفن يعلم الصمت كتأمل العابد لان متذوقه يترشفه في سكون واستغراق يسمح فيه صوت اللون ، ونبض الحركة ، وهفئة النسمة وهي تحرك الغصن المرسوم . يسمح فيه المتذوق صوت نفسه الاتى من داخله والذي يغطيه صخب الكلام وضجيج الحياة.

ولامر ما لا نجد على المعابد المصرية التى تمثل ذروة حضارة مصر
فى عصور زهوها ، فيها مفتوحا حين كان خلق الفن وإبداعه
يشغلهم عن الكلام، ويعبر عنهم بأصبع من الحروف والكلمات ...

ولعل السر في هذا أن صحراء مصر تعلم الصمت ... صمت التأمل ليعرف المصري الواسع ذاته ... وينظم حيويتها ... وقد وعى القدماء هذا الدرس من الصحراء ... ولكننا اليوم نريد أن نهرب من ذاتنا فنهرج لعل الضجيج يريحنا من مسئولية معرفة الذات ولوازمها ، ومسئولية العمل معا ...

والفن الذى أقصده ليس ذلك الفن العرضى الذى يحيط بالذات بوثارة من لذائذها وأحلامها كالف ليلة وليلة ، وإنما هو الفن الخالد الذى يحيط الذات بأفراح وسعادات بلا حدود لأنها وراء الحدود ... فن معراجى ترقى عليه النفس الى الأفاق العليا .

ان الفن تكريم الحياة بالقيمة .

لقد كان أفلاطون يقول أن الموسيقى منطق الخلق حين يتسق مع الخالق . وهذا هو معنى الفن ... والتدين بتذوق الفن عبادة شغافة . وخير لنا أن نقرأ تفسير القرآن فى متحف الفن الإسلامى لا شرح المفسرين .

فرماتق الحفر فى الخشب أغنية للشجر .

والنافورة صلاة المياه للنور .

وعماره المساجد صلاة تشكيلية .

" مثال هذا جامع النواوة فى الهند المشبع بزهرية الأزهار حتى ليكاد يكون زهرة كونية كبيرة فيها أنس وإيناس وشذى ... فيه سكون وسكينة ورفعة .

وجامع برقوق فى القاهرة أنه شعر من حجر ، خف وشف وعبر أبلغ تعبير .. وهو بالرحابة والثبات وإحساس الأمان الذى يعطيه ، أشعبه بالمعبد المصرى .

ان المعمار الجبيل فى المساجد تسبيح لله .

ان المسجد فى الهند استشفاف مجسد للمعبد الهندى ارق واجمل
بالخبرة المعمقة للاسلام بما هو خاتم الاديان .

كثيرا ما يكون التشكيل لغة ذات جرس وموسيقى واوزان . .
الاسلام عبر عنه الفن الاسلامى والتصوف اما الادب فهو جاهلى
حتى فى اسلاميته . . . الادب العربى لم يستطع - الا امثلة
قليلة - ان يسلم . وحين استهدى الاسلام ، سجع !! فافسد
السجع . ان الاديب الفارسى الاسلامى مسلم فعلا - هذا حين
ملا الفرس الادب العربى بالبديع والمحسنات اللفظية على طريقتهم
فى نقش السجاد

حتى اصحاب العربية المحدثين حين راموا التجديد والتحرر من
القافية اتجهوا الى الغرب !

حتى الفكر الاسلامى وجد واحة وراحته عند المتصوفة . . . اما
اللغة فهى عند ابن الفارض ونظرائه اجمل .

على ان التذوق الفنى فحسب هواية مترفين ولكن اكبر منه
تحقيق حياة المشاهد من خلال الفن وترشيدها واضاءة ضميره
واكتشاف حكمة لا توجد فى الكتب . . .

ان التلقين يقول ان معبد زوسر الذى صممه المهندس الفنان
الطبيب الاديب امنتب يمر الدالف اليه بمر ضيق طويل ليخرج
منه الى الرحابة الرحبة فى البناء وفى المكان . . . ولكن القراءة
الواعية تقول ان المر الضيق الصاعد يببط فى المعابد المصرية
مثلا مراشى الصعود الى مملكة السماء كما يقول كابارت ، لون
من الادب المعمارى . . . انه عملية تحضير للدخول . . . وتجبيح
للنفس . . . ودعوة للصمت يفتح بعدها المكان قلبه وذراعيه .

واذ تبهر من فخامة البناء ، وإيقاع التناسب ، وبساطة
الزخرف .

يفشرح الصدر (١٥)

وكان الزائر سليم .

فالمر الضيق طريق الى (المعرفة) الواسعة و (العلم) .
فأصبحت هنا مريضة لأن المعرفة كما يقول الصوفي أبو علي الدقاق ،
توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون .
وهذه هي أناقة العمارة وأنسها في الفن المصري .

ان الهندسة المجردة Geometry هي علم قياس الأرض . ولكن
الهندسة المصرية القديمة ترتفع الى صفاء النفس . . . مهارتها
تتحول الى بستان بما فيها من نبض وخفق ودفق ومشاعر ، حتى
المربع والمستطيل يحدوديتهما بينهما حوار ودي يربطهما بالكل بشكل
كامل متنسق تمام الاتساق . . . وهذا الاتساق في الفن المصري
لا ينبع الا من نفس متبلورة ذات ملكات . فان مناسبة الخطوط
بعضها بعضا في رونق أخاذ وإخراج متوافق يتطلب من المصمم كما
يقول الدكتور العربيان في كتابه (مدخل الى الهندسة) : « احساسا
جماليا تغذيه بعض ملكات الفنون الجميلة والتطبيقية ليتكامل
لعمله عناصر الإبداع والفنية الى جوار عناصر الفائدة والنفع »

وهذا اللون من الاحساس الجمالي كان وراء الخطوط المصرية .
فان الخط في التصوير المصري مغمم طائفة . انه تصوير بالنور على
الحجر ولهذا هو ملء بالرؤى . . ان الحجر المصري محظوظ فلم
المصري بما فيه يرو حجر مثله من وجدان مترع بالحياة كالوجدان
من رى .

ان العمل الفنى الرائع كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منمأة . عمل تحس أن صاحبه توضحا قبل أن يزاوله وكأنه الاستجابة لدعوة امرأة فرعون ... حقاً انه قصر من الجنة .

ان السموق فى عمود المعبد ونخلة الحقل ومئذنة المسجد شوق الى أعلى وتوق الى فوق .

ان الرائعة الفنية خلاصة تجربة الوجدان البشرى فى عصر من العصور ... الوجدان المصفى المودع فى العمل الفنى وكأنه سيفوفنية بيتهوفن الخامسة .

والفنان رؤية جديدة للحقيقة يفتح لها حوله وفى أعماق نفسه أن من توفيقات العرب تسميتهم صاحب القصيد « شاعرا » وهو تعريف للفنان الذى يستشعر القيمة .. ان كل فنان شاعر وأحسب لو عرفوا فى الجاهلية ألوانا غير فن القول لسموا الرسام شاعرا والموسيقى شاعرا ... أيضا ...

ومن توفيقات ابن البلد عندنا انه يصف الكلام الجميل بأنه (بروق الدم) أو (يرد الروح) . وترويق الدم صحيح حتى طبيا . فعملية « الانشراح » والانفتاح على ما يعجب النفس أو الحس لها أثرها الملموس على الإنسان ... أما قوله « يرد الروح » فعبارة تنتمى بحس بعيد الى معجزة المسيح فى احياء الموتى وليس بلازب أو لازم أن يكون الأحياء فسيولوجيا ، بل اعتقد أنه معنوى كلمسة الرحمن حين يخلق من الطين انسانا .

وبهذا المعنى يجب أن نفهم المسيحية والاسلام .. انهما فى جوهرهما روح وفن . فالفن يشف الروح . وحين تغدو الروح شفة عفة تقترب من رحاب الدين .

وهنا يكون الفن مخلا الى الدين .

ومن هنا نفهم أزمة الانسان المعاصر . فهذا الانسان عنيت
التربية بذهنه دون وجدانه ، فمعجز عن ايجاد المعادل المعنوي
للتقدم العلمى .

ان البحث العلمى الحقيقى تجربة وتجرد . وعصرنا امتاز فى
الاسلحة ومنها التليفون والبرق ... الخ ولكنه يفتقد القيمة التى
تتركز فى الدين والفن والفضيلة .

ان مقياس النيل بالروضة^١ جهاز علمى ولكنه امتزجت فيه القيمة
الفنية بالعلم . وهذا هو الفرق بين العصر الوسيط والعصر
الحاضر ...

ان الفن اليوم فى المنفى . . اذ ليس له فى المجتمع وظيفة
اساسية . السائد اليوم هو فن الاعلان وفن الترفيه، بينما الحياة
الاصيلة وثيقة الصلة بالفن تعطيه ويعطيها ... بينهما زواج
تسعيد وانجاب رائع ...

لقد ربى وطننا الفن ... فن الحياة وفن الفن ووصل به فى باب
التركيب الى أعلى درجات الفنى ... غنى القيمة ... ولكن
حياتنا الفنية تصفق اليوم لفك الخط الفنى .

ان الانسان اذا حافظ على انسانيته فهو تلقائيا فنان ... ان
الآلية .. الروتين .. العادة الميتة تقف بين الانسان والفنان ...
الروتين اعدى اعداء الفنان كما يقول هربرت ريد .
اليوم ، الفن هو النادر .

وفى مصر القديمة كان الفن هو القاعدة .

والفن غير الفوضى والبهيمية بل الدقة الدقيقة ... ان الغول
القاتل ان من ليس معنا فهو علينا ... هذا القول صادق متينا فمأى

مضول أو لغو تعبيرى ، يسىء الى العمل الفنى فلا يصل الى
(النقاء) الذى هو أمنية الابداع .. أما النسبية فهى حل رخيص .

ان الفنان باحث كأعمق ما يكون البحث وهو يسلك كل خطوات
العلم والعالم .. كل خطوات الدين ... فبالفن ليس فهوة .

ان الصناعة وهى دون الفن ، بما هى (وسيلة) التحقيق ،
تسبقها عملية تحضير وقد تكون غير واعية ... عملية جمع
خبرات وتحليلها .

ان معدة الفنان فى عقله ... فى جهازه العصبى يلتقط ويتغذى
و يتمثل وينمو

حتى الفنان الشعبى دارس فهو لم يولد خرافا أو زججلا، ولكنه
سمع ووعى واختزن .. كان (صبيا) عفد (معلم) .

وهكذا نرى أن الفن موهبة وجهد وتحصيل وبحث وعطاء ...
والمعنى فى الفن يستلزم نوعية الاداء .

والمتذوق الحقيقى هو الذى يعطى نفسه للأثر الفنى يستطيل
معه ويستدير معه ويتأفق ويتأرس أى يصير أفقيا تارة ورأسيا
تارة أخرى وفقا لخطوط الفن .

ان فهم الأثر استماع للفنان . وارتباطنا بالاعمال الفنية كسب
لقلوب أصحابها .. والانسان الحساس كالألة الموسيقية يبعث
منها ، حتى الهواء العابر ، الانغام .. والرؤية الحقيقية للفن
هى ابرة الجرامفون تلمس الاثر فتبعث النغم .

قلبى يدعو الله أن يهبنا نعمة البصرة بقدر ما وهبنا نعمة
البصر والعيون الجميلة .. فبالبصرة نتذوق كل ما فى دنيانا من
معان، لأن البصرة قدرة على النفاذ الى عمق الاعماق ... قدرة
على الحب .. على التعاطف ... المشاركة الوجدانية .. المسكن

الى وجود الآخرين ... ولهذا لا أعد الامتلاك من الحب في شيء ..
ولكن الخروج من الجلد والامتزاج بجوهر الناس والاشياء هو
الحب ... وهذا ما جعل الدزهكسلى في روايته **Bravely World**
ينمى اختفاء الحس الانساني في الفن المعاصر فيخرج مشوهسا
كأطفال أنابيب الاختبار الذين يحلم بهم العلم الحديث حين يرى
الأمومة التي هي قمة الحب ، أعظم الحقائق التي تمس القلب
البشرى .

وهل سمي الرحم الا من الرحمة ؟

ان الرائعة الفنية هي خلاصة تجربة الوجدان البشرى في عصر
من العصور ... ذروة تكامل القيمة فيه .. خلاصة الوجدان
المصفى المودع في العمل الفني .. وهذا العصر المكون لا تبوح به
الرائعة الفنية الا للبصيرة ... وقد يستسر على البصر ...

وهكذا نرى أن الفن له عمل آخر غير الخبر .. غير الحكاية ...
ان التاريخ لا غنى عنه حصيلة للتجربة البشرية، ولكن يستغنى
عنه حين يبديء ويعيد في ظهور الملوك واختفائهم ونشوب المعارك
والنصر الزائف فيها ...

ان التدفق والثقافة (احراك) وراء التاريخ الذى هو وقائع ...
ولهذا لم يتوقف عطاء مصر بموت آخر الفراعنة ...

كان الرازى يقول : الفن طويل والعمر قصير .

ولكن هذا القول خيال فردى . فان الفن اذا كان حلم جماعة،
تواكبت الاجيال في عملية تحقيقه فان الاجيال لا تموت اذا مات
صاحب الحلم .

لهذا نعرف العصر الفنى بأنه رؤية معينة .. حلم معين ابتداء
من الاشراق النفسى به الى ميلاد تحقيقه .

وهكذا نرى الثقافة الحقيقية التى لا تأتى من المدرسة ولا الجامعة ، ولكن من وجدان قادر على ادراك رهائف المعنى .

وليس معنى تركيزى على الفن اننى لا اعالى بالعلم ! فان الحياة لا تستقيم اذا اسلمت . زمامها للفن وحده أو المعلم وحده ، أو الفلسفة وحدها . ولكنها تسلم ويترد مسارها الصحيح بمجموع هؤلاء ...

اننى حين انشد النفاذ الى عمق الفن فأتى فى الحقيقة اطمع أن ننفذ الى الاعماق فى كل شىء . . ومن هنا أرفض أسلوب المدرسة المصرية والعربية فى التلقين . . فقد يحجب المعلم ، المعنى البعيد ويقتف حائلا دونه . . ومن يدرى فقد يقطع وجود المعلم ، الاتصال بين المعنى والمتذوق ...

يكفى المعلم أن يعطى المفتاح فحسب . . . حتى الصورة الفوتوغرافية محكومة برؤية المصور نفسه ...

إن من التذوق ، كالحب .

هل يدرس الحب ؟

الدين والفن في مفهوم مصر

ان دعوة الدين الى الاخاء يحققها الفن حين يمنح الناس كما يقول (سيدنى فنكلشتين) وعيا بالنسيج الاعرض للهتبع الذى يعدون هم جزءا منه ، ويبين لهم كيف أن مشكلاتهم انما يشاركهم فيها الآخرون مشاركة تتم على مستوى عريض ، ومن ثم فانه يخلق شعورا بالقربى فيما بين الناس الذين لهم حياة ومشكلات مشتركة .

الاخاء الانسانى الذى يسعى الدين جاهدا الى توفيره فى المجتمعات الانسانية عبر عنه الفن أجمل تعبير من خلال بتهوفن حين كان يصغى بقوة محاولا اختراق حجب الصمم الى سيمفونيته التاسعة التى ترتفع فيها أصوات المنشدين مترنمة بنشيدده للنصر ، مغدنا على الدنيا فيوضا من السعادة . وهو المتالم الذى ثكل أعز حاسة عنده . . . انه فى هذا الموقف أقرب الى قلب الانسانية من قديس .

ان الفن وظائف بيولوجية واجتماعية لا يمكن التقليل من أهميتها ، كما يقول هيربرت ريد فى تعريفه للفن حتى (نيتشه) وهو أحد ثلاثة جئى رأيهم على الفن — الآخران هما فرويد وماركس — جاء

عليه وقت كان يلوذ فيه بهوسيقى فاجنر ، وهنا ندرك قول توماس موفرو عن الموسيقى في كتاب (التطور في الفنون) انها لا تقل أهمية عن الفكر فانها بما تقتزن به من الايماءات وتعابير الوجه تصبح وسيلة للتعاطف الذي تفيض به نفوس المنحصرين أكثر مما تفيض به نفوس المتبريرين .

لقد ذكر الأستاذ العقاد في (يومياته) ان أفلاطون كان يقول :
(ان تغيير أغاني أمة يضارع تغيير الشرائع فيها) . .

ولعل من خير ما جاءت به الثورة الفرنسية هو اصرارها ، كما يقول : *Franco Benoit* فيما نقل عنه ارنولد هاوزر في (الفن والمجتمع عبر التاريخ) اصرارها على (الا يكون الفن مجرد زخرف يزين به البناء الاجتماعي) بل « جزء من دعائم هذا البناء » . . .
وهذه الصلة بين الفرد والدين أدركتها مصر بما في داخلها من احساس عميق بالمقدس والجميل فأدخلت الموسيقى المعبد واشتركت الملكة نفرتاري نفسها بألة السيستروم . . وعن المعبد نبعث الموسيقى الكنائسية . وفي الاسلام موسقت مصر الدين حين استن منقادهم القراء في مصر تقليدا (الا يبدأون قراءاتهم الا من البياتي وبه دائما يختبون) .

وبعد القرآن يأتي الأذان وقد أوضح عميل مصر فيه الشيخ البشري في (قطوفه) . .

يقول الدكتور بشر فارس في كتابه النافذ (سر الزخرفة الاسلامية) .

(على المؤمن أن يتوجه بكيانه الى الله ، فالله مصدر جذبته وغاية سعيه في آن واحد . . وفي القرآن (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة ١١٥ . وفيه أيضا (ذلك خير

نخمن يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) هذان معنيان لا يفتأ
كتب الاسلام يردد هما

من هنا لدونة الزخرفة الاسلامية وقد آل بها المطاف بين يدي
الاسلام ، أن عتقت من الواقعية الهلينية وخلصت من الصلابة
مارسية . فلا مبتدأ لها ولا منتهى ، وما يجوز لها أن تنطمع في
'حد منها' ، لأنها تسمى وراء الله الذي (هو الأول والآخر)
تحديد ٣ ... منه تتبدى الاسباب واليه ننتهي المسببات .

وبعض اللدونة نرى « الوحدة » في الزخرفة الاسلامية دوارة
نيرة وتارة متوترة ... وهى ، فى أكثر الحال ، تلتوى وقلما
بتركها البهر ... ووجهتها ، أبدا ، ما لاحد له ، فهى ماضية
ملا ملل ... وهيهات أن تبلغ ما تهدف اليه ، فشانها شأن ايقاع
بترشح متقادا للصبر) .

وان كنت أرى مع الدكتور زكى حسن أن الوحدة فى الزخرفة
الاسلامية تتوقف أحيانا عن المضى بعد أن زایلها الشعور بالخوف
من الفراغ متأثرة بالفن الصينى .

ونسر الدكتور بشر فيارس أحسن بصعوبة التركيز فجنح الى
تنطيق قتلا : (ان الثقاف العرقى بوروده وأوراقه ، وكذلك
البساط السطوح يفتان فجأة أحيانا ، أو يتكسران حتما على
محواجز ، عند أطراف المساحة التى تستقبل المنق . أترى يرضى
الانفاس والانبساط هذه الهزيمة ؟ كلا ! أما العرق فلا تختتم
مداه . وأما السطح فلا تلتحم أضلاعه ... بل كل يصل الى
المدى المقدر له وهو فى دوران نشاطه : أما عند رأس انتشاءه ،
وأما ق قلب اشتباكة ، كأنها يتأهب لاستئناف الاندفاع ، فيدعوك
فى أن تنب وراءه فى الخلاء ، لعلك ، من طريق التخييل تلاحق
جولاته هدمته تسوة الواقع تلك نشوة مشيت فى الخط
سبتك أن أفق الغيب المستطلق دون المؤمن مشغلة دائمة لحوقه) .

ان الفن الاسلامى رؤيته رؤية بالاشواق وهو يمتاز بالتنوع
والوحدانية معا .- يقول م.س. ديماند فى كتابه «الفنون الاسلامية» .

(يمتاز الفن الاسلامى بتنوع عظيم أصاب نواحيه وأشكاله
وصناعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة
أنه يصعب فيه كثيرا أن نجد فيه تحفتين متماثلتين ومنع ذلك
يمتاز بوحدته .)

والواحد هو الأصل فى العدد . . وفى الكون . .
والتنوع هو الظاهرة الكبرى فى الطبيعة . . . والفن الاسلامى
لم يعط الصورة انسانا أو شجرا أو نهرا « كينونة » لأنه اعتبرها
ظللا عابرة فى طريق تطلعه الدائم الى ما وراء الطبيعة . الى الله
الواحد . وان كان الفنانون المسلمون قد أخذوا عن الصين رسوم
الطير يسبح فى الهواء فيكسب الصورة حياة وحركة كما يقول
الدكتور زكى حسن فى كتابه (الصين وفنون الاسلام) . وحين تمثل
الفن الاسلامى هذا المعنى خرج خلاصة مظهر للحياة والحياة . . .
وهنا يتعاقب الدين مع الحياة فى ود موصول حين نفهم منه
فى استشفاف واع معانى كلماته الجامعة . فتجاوز التوحيد النطق
البيغوى بالشهادتين الى توحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق ،
وتوحيد المجتمع فيبدا من الشيع والتطاحن ، وتوحيد العالم نحو
القيمة الكبرى أى الله .

الدين قيمة كبرى . . . والفن الاصيل موضوعه : القيمة . . .
بينما العلم الحديث يفسر القيمة لا يتغياها . . . القيمة عند العلم
الحديث خارج الموضوع . . . وهى عند الفن قبلية يتجه اليها كما
يتجه عباد الشمس نحو النور . . .

العلم الحديث آله الذهن وله حدود الذهن وهو بهذه المحدودية
لا يمكن أن يحيط بالحياة أو الدين أو الفن . ولعل قوته فى معرفة
محدوديته بينما الفن أقرب الى التصوف فيه « الحال »
عطاء الله ، و « المقام » درجة يصل اليها السعيد بالمجاهدة . . .

والقلب بين الحال والمقام يترقى بالصفاء من مقام الى مقام حتى يصل الى الملاء الاعلى ...

ان مشكلة مصر اليوم انها ينقصها « الاساتذة » الحقيقيون في كل مجال من هذه المجالات ... ولهذا نقص الوعي من ضبابية الادراك ... ادراك معنى « العلم » و « التكنولوجيا » ... و « الفن » و « الدين » و « الانسان » . ولعلنا بئادراك (نقص الادراك) نكون قد اقتربنا من الهدف . فان ٩٠٪ من الحس في ادراك المشكل ...

ليس اعتباطا أن تنبش الأديان من الشرق وتنشأ فيه لأن « التوحيد » فيها يوافق حب « التكامل » المائل في طبيعة الشرق . لماذا لم تتفوق الملحمة والقصة عندنا كما هو الحال في الغرب ، على الرغم من أننا نحب الحكايات ؟ ذلك لأن طبيعة تفكيرنا التكامل لا التنصارع الذى هو أساس الدراما ... الملحمة مجلى بطولات يبرزها الصراع الثنائى ولكن مصر حتى حين تتصارع تفتىء سريعا إلى الوحدة . محروب الجنوب والشمال انتهت بوحدة الوادى ولبس « مينا » تاج الوجهين .

وصراع أوزوريس وسيت انتهى إلى تحكيم القضاء ونصب ميزان العدل . وهذا الادراك العميق للامور هو في صميمه بطولة فكرية . «

وحيث جاء الاسلام حدث في القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والتحل واشتد الخلاف بينها . فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقى الدين السبكى ليوفق بين المذاهب الأربعة . .

واذا لم يكن هذا الميل إلى التوفيق مصرى . فقط في هذا الشاهد ، فأننا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة إليه يتجه إليها صوفى مصرى بلدى السبكى هو الشعرانى . وهو أصيل في الفقه فوق كونه صوفيا من الطراز الأول . وقد

حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل
الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون
أنه مصلح يكاد الإسلام لا يعرف له نظيرا (.

أن ملحمة مصر تتمثل في الرائعات الفنية : « الهرم » ..
« أبو الهول » .. « الكرنك » « جامع السلطان حسن » ..
« تائية ابن القارض » . أما « الألياذة » و « الأوديسة » ففي اليونان لأن
عندهم « الصراع » حتى بين آلهة الأولياد ... حتى القدر يقابل
الإنسان ... فالإنسان والقدر يتصارعان ...

أما الإسلام فإنه بآيته (قل أن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي
لله رب العالمين) ١٦٢ ك الانعام ٦

الإسلام بآيته هذه فيه اتجاه الى الله وتسليم سلامي ... الله
الذى هو قمة القيمة ...

ولا نجاح هنا بالمنتصر الذى قتل أباه المتوكل ، ومأساة
(المستعين بالله) و « ابن المعتز » .. فهؤلاء تحت جلودهم
جاهلية ... جاهليتهم الأولى التى كانت تكمن وراء الخلافة
وأبقتها ...
أنهم دون مستوى الإسلام ...

والإسلام المسالم المصفى طرحه محمد فى عصره . ولكنه بهذا هو
دين الفطرة السليمة موجود قبل محمد فالأنبياء قبله مسلمون
(فان حاجوك أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وأسلمت مع سليمان
لله رب العالمين) ٤٤ النمل ٢٧ .

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) ٤٤ م المائدة .

إبراهيم (قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) . الإسلام
دين الفطرة السليمة . دين العقل الحر والإنسانية الكاملة ... ففى

ابن يقظان اهتدى الى الاسلام بلا نصوص او هكذا يرى ابن طفيل ...

الدين الحقيقي اكبر كثيرا من (الحرفية)؛ حرفة النصوص والطقوس التي نهوى الوقوف عند ظاهرها دون أن نكلف أنفسنا مشقة الغوص فيها واستقراءها ...

ان أعدى أعدائنا اليوم هو السطحية ... اننا نطالب باحترام المسرح ونتأذى من وجود اللب داخله ، وثقافتنا قشور وحديثنا قزقة ... فلم نعد نكلف أنفسنا النفاذ الى الأعماق التي انشغلنا عنها بالثرثرة والاستطراد يشيع في كلامنا بل وفي تخطيط مدننا خلاصة في العصر الوسيط . فأنت لا تكاد تأخذ في السير حتى ينعطف بك الشارع الى ممرات جانبية وأزقة تقضى بعد حين الى الطريق الرئيسي ثم يتفرع مرة أخرى وهكذا ... ويتمثل هذا في طرار العمارة الخاصة بالمساكن التي يضمها أصحابها دهاليز و (مسروقة) الخ .

ان الانجليز يسمون ظاهرة الاستطراد عندنا :

The Story of the Merchant

فاننا لانكاد نشرع ، في رأيهم ، في حكاية التاجر حتى نستطرد الى موضوعات وموضوعات ثم نعود الى حكاية التاجر من جديد . وهكذا فلا الحكاية تنتهى ولا استطرادنا يكف ...

نحن نتكلم كثيرا لاننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا نريد أن نقول كما يقول امرسون

He did not know what to say, so, he cursed.

مما أحوجنا الى القصد في القول والعمق في التفكير والانفتاح في الايمان لنحب في صدق : الدين والفن والحب ... ففتعاطب وننواد فلا يعد بأسنا بيننا شديدا يحسبنا الناس جميعا وقلوبنا شتى ... ويوم تتحقق وحدتنا يتحقق بها ومعها المعنى الكبير للدين والفن ، ومفهوم مصر لهما .

حين تحرر المصري من الخوف أبدي الحضارة

إذا أردنا كتابة التاريخ لكي نعيد بناء الشخصية المصرية علينا أن نراجع مفاهيمنا للمبادئ التي تقوم عليها الأوطان وفي مقدمة هذه المبادئ « التحرر من الخوف » أن J. A. Wilson يعزو ازدهار الحضارة المصرية الى تحرر المصري القديم من الخوف وإيمانه العميق بوجود رب يحميه مما اكتسبه ثقة في نفسه سحرت فيه قوى الإبداع والخلق . يقول ويلسون (قد تكون الحضارة المصرية حصيلة الموقع الجغرافي والأرض السمراء الخصبة المستدفئة بشمس أفريقيا . ولكن السبب الأكبر وراء هذه الحضارة ، عقيدة المصري القديم بأن مصر يحكمها إله هو ابن إله الشمس الذي يمنح مصر الخلود فهم يخاف)

انه اذن الايمان والطمأنينة والثقة .

وهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية المصرية يجب أن نبحث عنه فيما ضاع .

لا يمكن أن نعيد بناء الشخصية المصرية الا اذا

خلقنا أولا من أنفسنا مجتمعا ناضجا متحضرا يرمى الحق والجمال والخير . . . مجتمعا كل شيء فيه محسوب فلا نفرق في المدح اذا رضىنا أو رهبنا ولا نسرف في الذم اذا عادينا أو غضبنا . . . مجتمعا لا يداجى ولا يصانع بل يؤمن فيه كل فرد حاكما أو محكوما بأهلية كل فرد ، وحرية الرأى ، والعمل ، والتسامح ، واتخاذ سبيل الاقتناع بدلا من القوة ، والحكمة . . . تلك الصفات التى يعدها ولايتهدد Alfred North White head من مستلزمات الحضارة .

ومن المبادئ الرئيسية « الوطنية » وهى كلمة جامعة تتضائل عندنا على كثير من الشغاف حتى تغدو هتافا أجوف بلا مضمون . . وفى رأى أن الهتاف وطنية البسطاء . . ومصر لا تحب الهتاف لأنها شيعت منه . . والصادقون فى حبها يعملون فى صمت ويشككون حبهم انجازات ، تضيف إليها . . . وحضارة مصر اضافة الذين أحبوا فترجموا حبهم الى عمل دائم . .

فمصر اسم شرف لا يكتسب بالولادة ولكن بالعمل . . . بالسلوك . . بادراك القيمة .

ومصر فى الضمير العالى قيمة نفيسة بما هى مجموعة قيم حضارية ومنجزات حضارية .

الوطنية اذن عمل . . ورع وطنى . . تصوف وطنى . . وبهذا تغدو الوطنية ، قيمة . . قيمة انسانية .

وطنية ان نأخذ ما عند الغير ونضيف اليه من ذاتنا لا أن نبهر بكل ما يأتى به الغرب . . اننا لو تأملنا قليلا نجد الغرب عبارة عن تكتيك + فوضى فى القيمة . . . والأوربي يحاول تبرير الموقف المعاش حتى يستطيع أن ينام أنه يهدم القيم فى أنحاء العالم بدعوى أن التقدم انما هو التقدم العلمى المادى . . . وغير هذا مفهوم العلم فى مصر . . . لقد اشتق اسم العلم من اسمها ، « كيميا »

فالكيمياء هى العلم الذى يحول الخسيس الى النفيس حتى ليرى (يونج) فيها ، اشارة ... فتحويل العناصر رمز الى تحويل النفس ، ولأمر ما سمى الغزالى كتابه (كيمياء السعادة) .

ومن هنا ، اتخذ أحد المصريين المحدثين الكيمياء فلسفة وطنيته فاهتم بها درسا وعملا ، تعبيرا عنصرية واصالة ...

وهكذا مصر .. العلماء والفنانون يخدمونها .. (والهتافون) يدوشونها ويزعجونها .

ان المسادة مرآة الروح اذا عرف الانسان كيف يستشف المعنى من وراء المسادة .. فنحن لا نهون من التقدم المادى الذى يزهو به الغرب . فالمادة فى ذاتها ليست رذيلة والشخص السىء ليس المادى ، ولكنه القاصر عن تحرير المسادة وكثافتها ، والخروج بها الى شفافية المعنى . وهذا هو ما يفتقده الغرب ...

وطنية أن نعرف عيوبنا فمعرفة النقص خطوة كبيرة نحو الكمال ولكن بلا مبالغة . فمصر بلد الأساسيات جغرافيا وحضاريا وفنيا . ولكن البعض يغفل عن المنبع المتدفق بالخير لينظر الى البالوعة التى تتجمع فيها الشوائب .

وطنية أن نعيش العصر ونفهم ما جاء به من نظريات فى العلم والفن ولكن دون أنبهار يفقدنا أنفسنا .. ان الكثير مما يستهويننا قد يكون فى تراثنا ما يعادله أو ما يفوقه لو اننا نعرف ما عندنا

ان التكعيبية والسريالية القائمة على التجريد وتجاوز الشكل بل تجاوز المنطق والتطويع الى ما وراء العقل ، يتفوق عليها الفن المصرى القائم على نقاء الشكل مع الاحتفاظ باللمحات الانسانية .. حقا كثيرا ما يتجاوز الفن المصرى الشكل ولكن الى الاسطورة بشاعريتها وغناها .

ان الصعلوك ليس فقط المشرذ الضائع وانما الصعلوك هو
المبتور من جذوره الثقافية . يقول كاتب انجليزى (العرف بديل
العبقريه) .

ان من يتعزى من الفطاء الاجتماعى المنسوج من قيم امته
وحكمتها وتجاربها ، انسان هشى يتيم معنويا وان حسب نفسه
متحررا حرا ...

أنا لا أطالب بالمثالية ولكن بالمثال .. ان تنهون من الجذور ثم
تتفرع كما نشاء .

ولأمر ما يعبر أولاد البلد عن طحن انسان أو سحقه بقولهم ..
(يعدمه العافية) . ان التربية الحقيقية ... غرس التاريخ في
النشء تعطى العافية .. القوة .. الأمل .. الحلم ... الارهاصات
أى همس الوجدان .

ان أزمة الانسان المعاصر ان وجدانه لا يضاهى تقدمه
التكنولوجى فملك الآلة ولم يملك السلوك وحسن الاستعمال .
انسان العصر الحاضر سباق مذنبا .. فقراء هذا العصر يستضيئون
بالكهرباء وهو ما لم يتيسر ليوليوس قيصر ولكنه معنويا ، معدم
لا يعرف كيف يعيش ، كيف يحب .. كيف يكره ليس عنده (فن
الحياة) اللهم الا اذا كان مبقرىا .

انسان العصر محروم من الرعاية المعنوية ثقافته متجولة
كبضاعة الباعة المتجولين .. ثقافة جرائد وأفلام مسطحة .

ولأمر ما تغمر وزارة الثقافة عندنا اسمها بين حين وآخر نهى
تارة وزارة الاعلام وطورا وزارة الارشاد وحينما وزارة الثقافة
لائنا نحتفل بالاسماء لا بالضمون ... لقد عمل الانسان اللغة فلا
يدع اللغة تشكله ... لو كان لوزارة الثقافة هدف محدد لما

غيرت اسمها مرات .. لو تعمقت مضمون كلمة (مصر) وهو حضارة + مسيحية + اسلام + حرية ... وهذه الحرية ، اى الخط الرابع ، تستقطب هذا كله ...

لو عرفت وزارة الثقافة هذا المضمون لاتخذت منه شعاعا وجعلته محورا لها وهدفا

ان الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطراب يتحقق هذا المعنى فى الانسان بل الجهاد فالخط المستقيم نقطة متحركة فى اتجاه واحد ففيه معنى الآلية اما الخط المتعرج فهو اكثر حرية ولكن الجمال فيه رتيب فيه بعض آلية داخل حريته .. وتزيد الحرية باختلاف الموجه بين ارتفاع وانخفاض .

لقد كان فى الفن الفرعونى خطوط مستقيمة ولكن الى جانبيها خطوط اخرى تتحرك فى حرية تامة وهى بانطلاقتها تؤكد ضرورة الخطوط المستقيمة ليتوازن البناء الفنى كالأعمدة فى البناء الهندسى . حتى (العقد) المغمى به الفنان المصرى حتى ليؤفره لصوره ونقوشه كلها ... هذا العقد المستدير رد على دائرة الرأس يدور معه الفكر ليصعد الى الرأس من جديد .

كان عند الفنان المصرى تفتح وانفتاح وانشراح وتهل فى التقبل فاذا رسم أحس احساسا طبيعيا موهوبا بالنسب فيخرج الأثر الفنى وكأنه منظوم فى بحور رياضية فهو كشاعر موهوب يجيد النظم ولو لم يكن يعرف العروض .

وحين نسأل السؤال التقليدى هل الانسان مسير أم مخير فان معنى مسير ضد الحرية .. **انما الحر هو المخير** . مثل هذا الانسان اذا فعل فقد اختار ان التصميم هو الوضع باختيار ...

الحرية نمو على مستوى الفرد والمجموع .. ان عز الانسان

الأول اعتمد على ذاكرته وقد بدأ مرحلة التحضر عندما بدأ يحرر
رجليه الأماميتين أى يديه ... ولما تفرغت اليدان وبدأت تعملان
في حرية بدأ المخ ينمو ... والثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف
والعقد بحيث يكون لديها من الادراكات والمنجزات والطرح ما يمكن
أن يتاح للنفس الانسانية الراقية .

ومن الحرية بل من الوطنية أن نحب الحرية لغيرنا ... ان
وطنية المستعمرين (أنانية قومية) ... لهم الغنى والديمقراطية
والحرية... وللشعوب المغلوبة الفقر والاستعباد والذل... ولا يستحون
بعد هذا أن يتشدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام انسانية
الانسان - وهم يعنون الانسان الأبيض بالطبع - أما احترام
انسانية الشعوب فهو موضوع آخر .

قتل امرئ في غابة * جريمة لا تغتفر
وقتل شعوب آمن * مسألة فيها نظر

وطنية أن نحترم أوطان الآخرين كما نحترم وطننا ... لقد
دعا جمال الدين الأفغانى الى الحرية في غير وطنه ، وثار تومبين
على الاستعباد في كل مكان حتى لقد ألّب الأمريكيين على الاستعمار
البريطانى ، وهو الانجليزى مولدا وهوية لانه كما يقول هلد جارد
هو ثورن :

(الدنيا وطنه والحرية رايته) .

وما دما نحب الحرية للآخرين ونحترم أوطانهم فلا يستكثر علينا
أحد ولا ينكر علينا أحد أن نعلی راية (المصرية) دون أن يتعارض
هذا مع القومية العربية . فالعرب في سائر بلادهم ينتمون أولا
الى الوطن الأم ثم ينتسبون الى العروبة بحكم الدين واللغة ومسار
التاريخ في الأربعة عشر قرنا الأخيرة .

ونحن في مصر لا نطلب أكثر من هذا لا سيما وأننا نحمل أسرها
عرفته الدنيا قبل الديانات واللغات والقوميات فنحن مصريون أولاً
ونحن مسيحيون ونحن مسلمون ونحن عربيو اللسان والهدف
والمصير ..

ان الأستاذ ساطع الحمصرى في كتابه الكبير عن (القومية العربية)
يسمىها «رابطة» ونحن لا ننكر هذه الرابطة ، ولا نستطيع ..
وليس في مصلحتنا ان استطعنا ولكن «الرابطة» مهما عزت ،
لا تبلغ الأصل المرتبط والمربوط بل ان وجودها رهن بوجوده .

انها لماسة ان تحتاج الحقائق الثابتة الى اثبات .

من هنا ندعو الى اعادة قراءة التاريخ حفاظا على الاصل ،
واتخاذ منطلقا للتجديد والخلق حتى تكون لنا شخصية متميزة
ثم نتمسك بها .

لقد أخذت اليابان بأسباب العلم الحديث بل أضافت الى علوم
العصر ، ولكنها تمسكت بأسلوبها في الحياة ونظامها في العيش .
انى ارى الهنود في مصر ورأيهم في بلاد أخرى عربية وأوربية
فلم تخطئهم العين بزيهم الخاص مهما تطوحت الموضة حولهم وفي
عقدارها .

ان الانسان يولد في العصر الحجري ، والتربية هي التى تصل
به الى العصر الحديث .. فى ادراك القيمة لا فى ارتداء الموضة
فان من يرتدى الموضة فحسب لا يزيد على شهاعة خشبية انمسا
المقصود رحلة فى النفس .. معاناة حقيقية ..

الشخصية قبة الوجود الانسانى ... تكامل الكيان البشرى
نحو قيمة جديدة وهى بالنسبة للأمم خلق حضارى كالذى فعلته
مصر والهند والصين فى العالَم القديم .

وهى بهذا ولادة ثانية والقيمة ثراء للذات واثراء .

فرق بين (الشخصية) Personality وبين الفردية

ووزارة الداخلية حين تعمل للمجرم (فيش وتشبيهه) وتسمى هذا تحقيق شخصية ليس في الحقيقة الا تحقيق فردية Individuality

الوطنية وعى بالماضى ومحافظة عليه باتخاذها منطلقا لنصو التجديد ... ان القبة هى الترجمة الاسلامية للهرم .

القبة هرم ترفق المصرى المسلم فى بنائه فاستدار الخط بعد صلابه وثبات ...

وكالقبة ، المئذنة ... ان داخل كل مئذنة ، بسلة فى الشكل والروح ... المئذنة قدمها على الارض وقلبها معلق بالمحل الارفع كما يقول الغزالي فى الواصلين انها Sermon in Stone

والفنان المصرى الاسلامى كان يجمع الى قوته الموروثة سباحة الدين الجديد ورحمته فانطبع هذا فى فنه حنيات واستدارة فابواب المساجد يتركش المصرى المسلم اعلاها وكأنه يحفن المستطيل ويعشق الخشب ويستنطق السطح بالفتش والنممة ...

كم هى بليغة لغة ابن البلد فى لفظة (يعشق) . الخشب فى مفهومه ارواح تتحاب وتتعانق وتعشق ... ان لغة ابن البلد فى هذه (الحقة) ابلغ من التعبير الانجليزى Made with love على جماله ورقته ...

حتى المفاهيم العقائدية تلتقى فيها عصور مصر مع تجديدها ..
نلو تأملنا الآثار المصرية لرأينا (الجناح) يسيطر على خيال المصرى الذى رمز به الى الرحمة .. الى الاتساق .. الى السيطرة .

ولهذا شاع في الفن المصرى القديم (القرص المجنح) حبسا في
النور والحرية ، وتحصينا بالشمس والجشاح ...

والقرص المجنح يقابل في الاسلام (بسم الله الرحمن الرحيم)
نفس الـ Sentiment وتسرب هذا عبر الاجيال الى نفس ابن
البلد فأصبح يقول ويؤمن (بمصر المحروسة) .

وهكذا نرى الحفاظ غير الجمود .. لقد أدرك المصريون برؤية
داخلية بصرية ان الحضارة تحتاج الى زمن .. استمرار ...
حفاظ .. ان الحضارة لا تبني في جيل ... هنا اخترعوا
الكتابة .. العبارة .. التحنيط حفاظا على الجسم من الزوال ...
وقد لاحظ شبنجلر في كتابه Decline of the West

ان الهندوكى يحرق الجثة والمصرى يحافظ عليها ويحفظها ..
وفي لغتنا اليومية لفظ « قيد » بمعنى اكتب واحصر حتى لا يهرب
المعنى .

والفكر المصرى من طبعه الحفاظ فهو يحافظ على تديمه ولو كان
Out of Modern لقد ظلوا يقولون ملك الوجهين حتى
بعد أن توحدت مصر وصارت كلا واحدا ... وفي المعبد مقاصير
الشمال تقابلها في الجانب الآخر ، مقاصير الجنوب انها الوحدة
المصرية يعبر عنها الحجر بالشعر الموزون .

ومع هذا كله « مصر قادرة على التطور والتكيف فاعتمدت
المسيحية ثم الاسلام وكانت في هذا تصدر عن طبيعتها لا سيما وان
المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير حتى ليصف جاك مارتان ،
الفن الفرعونى بأنه مسيحى النزعة والامل Christian in hope
كما أجمع أساتذة الفنون ، شرقيين وغربيين ، الذين رأوا جامع
السلطان حسن على أنه فن فرعونى ولو أنه أثر اسلامى .

اعتنقت مصر المسيحية والاسلام بما فيهما منها . ان مصر حين
رهمت الى الخير والعدل والحق بـ (معات) كانت بطريقتها تقول
من خلال (معات) : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) .
لقد اعتبرت المسيحية مصر (الارض المقدسة) لوجود آباء
الصحراء فيها وعندما جاء الاسلام شربته مصر ونمت به ،
ونمت فلم يمح شخصيتها بل **أضاف اليها عمقا جديدا** وأضاف لها
نضلا جديدا يوم حملت مسئوليتها في **السلم والحرب** فدافعت عنه
في مواقفه الكبرى، وحمت حضارته التي تهددها هولاكو والصليبيون
نوق ما عملته له على أرضها برصيدها الكبير في صناعة الحضارة
مما لا يستوعبه كتاب محدود .

ان مصر قادرة على التكيف والتطور . . . لقد أحبت مصر القديمة
الحياة حتى أنكرت الموت ولكن مصر المسيحية حين وجب الفساد
أحبت الموت حتى أنكرت الحياة واستشهد في سبيل المسيحية أبرار
سبقي شهادتهم رمزا للإيمان .

فمصر قادرة على التكيف والتطور حتى للتبلغ به أقصى المسمى
الذي يبدو للظاهر متناقضا وهي في الحالتين تنبع عن أصل واحد
هو طبيعتها السمحة القابلة للتطور . انه التوازن بين الثبات
والحركة ، الذي يقول عنه جوستاف ليون في حديقته من
« الحَضَارَات الأولى » ، (ان قليلا من التسعوب من نجح في
تحقيقه بل نادرا . . وأندر منه من احتفظ به . .)

وتختلف الأديان والعصور والمصرى يجمع في كيانه هؤلاء كلهم . .
ان دنيا المصرى كملكة النبات عالم رائع له عقيل كل كسما
يقول اخوان الصفاء .

مصر خلقت نفسها كاله الشمس الذي خلق نفسه في الاسطورة
المعروفة . . .

وجودها شاهد على القيمة وانجازها دليل عليها ... والقيمة الأولى في تاريخها ، الفن .. الفن المصرى القديم فهو انجاز حضارى رائد .

لما القيمة الثائية في تاريخ الشخصية المصرية فهي الفن الاسلامى .

ان الشخصية المصرية = حضارة + ارتفاع فوق الاحداث كارتفاع المآذن فوق الطوابق + وعى بالمقدس بوجود الله

مصر القديمة خلقت نفسها حضاريا

ومصر الاسلامية نهت نفسها

هناك خلق وهنا تحقيق نمو .

وميزة حضارة مصر ، الاستمرار وفى تكامل .

ان الحفاظ الحقيقى تنمية وتكامل .

مصر الاسلامية كانت القلب الرائع والناض للطنائر الذى يمتد جثاها من جنوب الصين الى جنوب اسبانيا ..

ان رؤية مصر ، تختلف باختلاف الامراء . فمن همم الطعام والشراب يرى مصر ، الوادى .. ومن يبحث عن ، المعنى فى مصر يخرج الى الصحراء .. اما مصر « الطموح » فهي ما بعد الصحراء حين تفرد جناحيها ويمتد نشاطها فيصل الى الشام شمالا ، والسودان جنوبا ، وليبيا غربا ، والبحر الاحمر شرقا ..

مصر هذه لعبت بالحجر والذهب .. صاغت الحجر وثقافته بالنقش واللون ، وشكلت الذهب وجملته بالثمينة والفن .

كم وشوشيت مصر الحجر وترعته اسرارها ومشاعرها فكان عملها لون من التطعيم الذى نحسبه قاصرا على الصدف

ان القاهرة أخطى عواصم العالم معماريا بأهراماتها ومعابدها
وكنائسها ومساجدها وفنونها التشكيلية .. وهى من الناحية
الحضارية أروع العواصم .

لقد عرف (جوته) العبارة بأنها موسيقى فى الحجر ... ان
عاصمتنا — من هذه الناحية — لحن رائع .

... ..

هذه هى شخصية مصر التى دخلت بها التاريخ ووضعت
بصمتها عليه شخصيتها التى هى وجود متميز معدود ومحسوب
وله قيم وثقافة يعينها ...

شخصية مصر كالعمود فى العمارة الاسلامية فاستقامة العمود
يترجم عن الخط الصابر الصامد ثم يلين فى انحناءة يستجمع بها
نفسه ويستمد العزم فى طريقته الى قمة .

ولا يرمز الى شخصية مصر كالنيل والمقطم انها حوار بين
الصخر والماء من يلاينها تعذب وترق كماء النيل ومن يتحداها
تصلب كالصخر ... صخر المقطم . هكذا خلقت ... انها لقاء
خلاق وحوار الاق بين الصخر والماء ... حوار يدور فى النور .

ولا ينال من شخص مصر او شخصيتها اخذها بمنطق الاحداث
... لقد تكلمت مصر العربية لان الاسلام كان ينطلق فى المنطقة
من « كلية » معينة ... كان (وحدة) تريد ان تأخذ دورها فى
المنطقة .. وفى .. التاريخ .. ومصر قلب هذه المنطقة بلا ادعاء
او تواضع ... قلب المنطقة فى العصور القديمة ، وفى المسيحية
... وما كان للقلب ان يغير مكانه فى الاسلام ... لقد أخذت
مصر دوراً منذ عهد عثمان ... ومن لا يغيب عن المسرح لا بد
ان يتكلم لغة الرواية التى تدور على خشبته .

لقد تمسكت فارس بلغتها بعد الاسلام وما ذلك الا لانها بموقعها بعيدة عن الأحداث وعن العيون الا أن تكون مصدر فتنة أو مؤامرة .

وهذه (الكلية) في الحضارات نادى بها أخيرا في العصر الحديث « سمطس » . . . فمصر حين تكلمت العربية لم يحدث فيها (انقطاعية) في حضارتها كما يقول الأستاذ الدكتور جمال حمدان في كتابه العظيم (شخصية مصر) مؤيدا رأى توينبى في المصريين المحدثين ومغايرتهم للتقدماء .

ان لغة الحروف ليست كل الصلة بالماضى .
هناك لغة التشكيل التي امتدت عبر العصور موحدة الاسلوب والنمط والاداء في المعبد والكنيسة والمسجد . . . في النقش والحفر والنسيج والنجارة . بل عادات ونظام الحياة .

اليس هذا كله امتدادا واستمرارا ؟

هذه هي مصر وليست كما يقول رينان فيها رواه عنه الدكتور حسين فوزى ، في حديث له عن أحياء البحر الأحمر والبحر الأبيض ، ومضمونه ان مصر حينما يتعين عليها أن تلعب دورا يتصل بالنفع الانساني العام تكون الضحية الدائمة . . . حيادها لنفع غيرها والروح الوطني مقضى عليه فيها وسوف تحكم مصر بمجموعة دول متحضرة وبلاستغلال العلمى المنظم للعالم سوف توجه الانظار الطموح الى وداى النيل !!

لا رد لنا على رينان فالعالم مملوء بعقول رينانية . كان الغزالي يقول : ان القلم على روعته ، أروع منه اليد التي تمسك به . . . وأروع منه الشخص المحرك الذى يملأ عليه . . . وانطلاقا من هذا المنطق الحكيم للإمام ، نقول ان أروع ما شيدته مصر :

« **الفسخضية المصرية** » . التى استوعبت النصر والهزيمة ..
والازدهار والانحلال والصلابة والتسيب ، والعزة والقيهر ...
عرفت مصر هذا كله ... واستقطبت مصر هذا كله وتحدثت مصر
هذا كله ... وتخطت مصر هذا كله .. ولم تكف عن البناء
والتشيد والعمل ...

العمل لا فى داخل حدودها فحسب بل خارجها اذا كانت
شخصيتها فى كل العصور تفرض عليها الامتداد فى اتجاهين :

✱ اتجاه راسى اى الى افريقيا والجنوب .

✱ اتجاه لطفى اى الى اسيا شرقا وليبيا غربا .

ومن هنا يجب أن تكون دعايتنا فى الوقت نفسه دعوة لاقضية
... ان من يكف باعلان انه مظلوم ، متسول انصاف لكن قيمتنا
فى استيعاب قيمتنا الحضارية .. فى فهم دورنا المعطاء .. وكثسه
المعطاء الجديد الذى سيضيفه .

واستيعاب الماضى تحضير للعب الدور الجديد فى عملية صعود
الى المسرح ثانية استيعاب الماضى **بوصلة قومية** ترشد
بها الخطى وتعصمها من الضلال ...

كان قديمائنا يحرصون على **تجليد المعبد** اى اقامة سور من
الطين حوله حتى لا ترهق رهبته النفس أو تذهب الالة ، بهذه
الرغبة . ويبدو أن سور الطين نقلناه نحن حول قلوبنا فلم نعد
نرى فى الهرم والمعبد الا مكانا للنزهة لا للمعنى .

لقد ولدت مصر معبدا فلا تحولوها الى ملهى ... حرام ..

وقف عند الدولة العصرية

في محاولة كتابة التاريخ من جديد نقف وقفة عند الدولة العصرية التي نتنادى بها . . . وهذا النداء يتضمن الاتجاه الى الغرب باعتباره السابق ونحن نريد اللحاق به . . . ومن الطبيعي الاخذ بأحسن ما عند الآخرين . ولكن يجب أن نقف وقفة خاصة عند هذا الموضوع . فان الشباب يعيش في وهم كبير اسمه أوروبا ، حتى اذا أتيج لهم أن يذهبوا اليها ، وأن يعيشوا فيها ، شهورا وأعواما ، انسلخ البعض عن قومه ، ومزق الصراع البعض الآخر . ذلك الصراع الذي صورته الأديب يحيى حقي في قصته (قنديل أم هاشم) .

وغير الشباب لا تزال المجتمعات الشرقية من رواسب الاستعمار عندها (عقدة الخوافة) يقابلها عند رجال الدين المحافظة الشديدة التي تصل عند البعض الى حد التزمّت .

وفي صراع الدعوات والشعارات والآراء يعلو صوت الواقعية المادية والعلمية . ولست أرى من وراء هذا الحديث التهوين من قيمة الصناعة أو العلم الذي غزا الفضاء وترك بصمته على القمر . . أبدا ولكنني أريد وسط هذه التيارات الزاخرة ، أن

نتفاعل مع الحياة والحضارة الحديثة في تماسك يحفظ علينا
شخصيتنا المصرية العربية الشرقية حتى لا يجرفها التيار فتضيع...
ونكون كذلك الغراب الذى تحكى القصة على سبيل الرمز أو
الحقيقة ، انه استهواه مشية العصفور وقفزاته الرشيقية ،
فأراد أن يقلده بدون تفكير ، فانتهى أمره الى مشية مضحكة
ذهبت مثلاً ...

كما أن المحافظة التى أعنيها لا تتعارض مع رغبتنا المخلصة
فى أن ننمى شخصيتنا ، وأن نطورها ، وأن ننفض عنها غبار
القرون والاحداث ...

لقد ظل الادب الانجليزى فترة طويلة من الزمن ، وعلى الاخص
فى عصر (سوپ) و(دريدن) متأثراً بالادب الفرنسى ، وكان
سوينبرن Swinburne شديد التأثر بالشعر الفرنسى كما
كان كارليل Carlyle متأثراً بأدب ألمانيا .

ولكن تأثر هؤلاء بأدب غيرهم لم يفقد أدبهم قوميتهم وذاتيتهم ،
بل زادت ثراء وعمقا .

وكان جوته شاعر ألمانيا العظيم يجيد اللغة الفرنسية الى حد
الافتقان - هذا الى انتقائه اليونانية واللاتينية - حتى قيل انه
تردد يوماً هل يكتب بالألمانية أو الفرنسية ، ثم أخذ يدرس
الادب العربى والفارسى . وفى السبعين من عمره طرح ثمرة
عظيمة هى كتابه الفريد الذى سماه (ديوان الشرق والغرب) .
وترجم القرآن الكريم ، بل لبس العمامة وارتدى القفطان ، وفى
أوروبا ، تشبهاً بحافظ الشيرازى الذى كان يحبه ويعجب به . ومع
هذا ظل جوته شاعراً ألمانيا صميماً يستلهم الشرق والغرب
فى آن . . . الصور شرقية والأحاساس غربى . . . توغل كما
يقول أحد الذين ترجموا له ، فى هذا العالم الشرقى دون أن

يفقد شخصيته . فهو يتبع القافلة وهي تسعى على مهل في الصحراء ، ويسمع صوت الليل ونغماته الحزينة ، حول الغدران والينابيع ، ويصغى لهذا بانتباه ، بل قرأ ترجمة المملكات في الانجليزية ثم حاول هو ترجمتها من تأثره بها وحاول فيما حاول من معطيات الشرق ، الكتابة العربية ليتغنى بالقلم العربي المسنون من القصب في مقطوعته (القلم) .

كان جوته خير رد وأبلغه على رد يارد كسيلنج الذي قال (الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان) .

لقد التقى الشرق والغرب بقيتهما في جوته ... في فكره وفي سلوكه في ديوانه الذي يقول فيه :

من حماقة الانسان في دنياه
أن يتعصب كل منا لمسا يراه
وإذا الاسلام كان معناه التسليم لله
فإننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين .

فلذا أضيف هذا كله الى أدبه وثقافته الغربية ، نشأ من ذلك ازدواج موفق غاية التوفيق ، وكان بمثابة عهد جديد في الادب الألماني ، فإن الشعراء المماصرين من الألمان لم يلبثوا ان أخذوا يقتفون أثره ، وانصرفوا عن أناشيد الحرب والقتال ، لينشدوا أغاريد الشرق ، وكان أشدهم تأثرا بجوته ، أو (ديوان الشرق والغرب) الشاعران : ركر وبلاتين .

ومتى ظهر (ديوان الشرق والغرب) ؟ لقد كان هذا ما بين ١٨١٤ — ١٨١٩ في وقت كانت ألمانيا تتسعر فيه حماسة ووطنية كرد فعل لغزو نابليون لها .

هذه ألمانيا .. أما إيطاليا فإن بعض الباحثين الغربيين يلمح

اثر العقيدة الاسلامية في البعث والاخرة ، في قصيدة دانتي :
الكوميديا الالهية .

التقى الشرق والغرب في الحضارة الحديثة التي يعزوها «واينهد»
الى : اليونان وفلسطين ومصر . من اليونان فلسفة ، ومن فلسطين
المسيحية ، ومن مصر العلم والصناعة . أو قبل أوروبا تجمع هذا كله في
مدرسة الاسكندرية التي انتقل اليها مركز الثقافة من أثينا ، فمزجته
بتراث مصر الديني والعلمي والصناعي حتى غدت « الهلينية » أي
فلسفة اليونان ، « هلنستية » ، بعد أن احتوتها الاسكندرية ،
وأضافت اليها ، لتؤثر بعد هذا في الفلسفة الاسلامية ثم في
الحضارة الأوروبية .

كما استفاد الغرب في مطلع نهضتهم من ايران ومصر والهند
وما وراء الهند واليونان . والواقع كما تقول الدكتورة سيجريد
هونكة في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) ، —
(ان التعصب الديني وعدم التسامح كانا دائبا من أمدى أعداء
الشعوب فالعزلة عدو الحياة والنمو والتطور . ثم ان تبادل
الثقافة بين الشرق والغرب الى جانب الاحترام المتبادل الى التعاون
والتصافي أدى جميع هذا الى تفتق العبقريات . وإذا تفاضينا عن
بعض حالات التشاحن والبغضاء التي وقعت بين العرب والأوربيين
أحيانا ، فان تعاون الشرق والغرب سيكون خيرا وبركة للمسلم
أجمع)

انى لا اميل الى تقسيم الأمم الذى ذهب اليه من الغرب
« ليون جوتيه » في كتابه (تهديد لدراسة الفلسفة الاسلامية)
و « دنكان ماكدونالد » في كتابه (تطور الفقه ونظرية الحكم
عند المسلمين) ... ومن الشرق ، « الشهرستاني » .
ان الطبيعة البشرية واحدة في عمومها على الأقل ... وإذا كان
الشرق بحكم حضارته القديمة ، يتعامل مع القدم والقيم بطبعه

وطبيعته ، فان الغرب بعقليته التى تهوى التحليل والتعليل يتعامل مع الحسوسات ليصل عن طريق المقدمات الى النتائج ...

الشرق كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، فنان .

والغرب عالم .

والعلم كما نعرف وسيلى .. والفن غايى قيهى ..

وحين أقول هذا ، لا أنفى أن العلم قيمه بما يهذب من نفس الانسان الى حد تجريدها الى أفق الموضوعية .

وهو غايى بما يحرر الانسان من الجهل .

العلم يهذب ويجرد .. والفن يصفى ويقطر وجود الانسان لاستخلاص القيمة .

كان عالم الطبيعة « أدنجتون » يقول : المتصوف والفنان لا يقل موضوعية في تعريف الحقيقة عن العالم الطبيعى .. كما كان « اينشتاين » يقول : رؤية النبى والفيلسوف والعالم ، للحقيقة واحدة من زوايا مختلفة .

وهكذا لا تعنى المحافظة التى نحرص عليها أن الغرب شر كله ، فنحن أصيقاء الانسان في كل مكان .. ولكن الانسان المعطاء الذى يعلى الخير والحق والجمال ... فبتهوفن بموسيقاه أنبل وأكرم ، وأسمى ، وأطهر ، وأشرف من تجار الحروب باسم الحرية تنارة ، وباسم مناهضة الشيوعية تنارة ، أخرى ... تلك الخدمة التى كشفها تسابهم نفسه فثار ، عليها فى أوربا وأمريكا ثورة عارمة أعلن عنها فى ملبسه وسلوكه وأسلوب حياته . وألف من بينه الجماعات المختلفة التى تمثل صرخته واحتجاجه ، كجماعات الهييز وجماعة (الكريشنا) التى تؤمن بالفلسفات الشرقية القديمة بعامة والهندية بخاصة ، وتدعو الى العودة الى روحانية

الشرق بعد أن أعمت الغرب أطماعه وأفقدته حب السيطرة بشريته ، وأورثته مجتمعاته تعاسة مرة على الرغم من الأضرار التي يضغط عليها كلما أراد شيئاً فيتحقق بسرعة ، كان كل زر منها خاتم سليمان الذي يمشي أمنية في خيال الظلماء والمحرومين في أساطيرنا القديمة .

هذه الأضرار التي جعلت الإنسان الأوربي في مجتمعه كأنه ترس في آلة ضخمة يدور معها معطل التفكير ، مسلوب الشعور ، يفقد في النهاية متعته وحيويته وسعادته ، إذ فقد الإحساس بقيمته وغناؤه عندما حلت الآلة محله في كل شيء ، وحرمته متعة الخلق الكامل .

وحين وجد الشباب الأوربي والأمريكي اليوم نفسه ضائعاً في مجتمعه يسير معه في طريق مسدود ، وقع فريسة للمخدرات والعقاقير هروبا من واقع مزير وحياة عقيمة ، إلى حالة من الاستغراق والاحلام آملاً أن تعوضه عن الإيمان الروحي الذي افتقده في ظل الشيوعية والرأسمالية على السواء .

وقد عقد كتاب (عصفور من الشرق) مقارنات طسوية بين الشرق والغرب في أكثر من ناحية .. وفي أكثر من اتجاه من اتجاهات التفكير والسلوك لا بأس من تأملها في هذا الوقت بالذات خاصة الشباب فالكتاب عصارة سنوات في أوربا حين ذهب إليها مؤلفه شاباً للدراسة فحديثه هنا ليس انطباع اللحظة العابرة أو الملاحظة السائرة ولكنه حصيلة الدراسة والوعى المتأمل والمقارنة الحساسة .

والاستاذ توفيق الحكيم يستهل كتابه بحديثه مع صديقه الفرنسي (أندريه) عن الفرق بين الشرقي والغربي في النظر إلى المعبود .
ان الغربي يدخل الكنيسة كما يقول أندريه كما يدخل القهوة

« هناك محل عام وهنا محل عام ... هناك الأرغن وهنا
(الأوركسترا) » ص ١٥

أما الشرقي فانه يعد نفسه لدخول المبدئية أو مسجدا
في عينه « السماء » وليس من السهل كما يقول
« محسن » — الذي هو الكاتب نفسه — الصعود في كل لحظة .
انه لجهود ...

شرق وغرب في الحب الذي يعلنه الغرب في أى مكان وإيمان
أى عين حين يفالى به الشرق ويأبى (أن تعرض العواطف هذا
المرض ، فى الشوارع والطرق فتبتذل ، وهى التى ينبغى لها
أن تحفظ فى الصدور كما تحفظ اللآلىء فى الأصداف) ص ٤٨ — ٤٩

الحب فى الغرب على ككل شئ ولكنه فى نظر محسن
(احساسات عليا) وخفة قلب ، ولهفة روح ، وتطلع عين ، وظمأ
شوق ، وتمن ورجاء ... ويأس ولقاء أو لا لقاء ... أمل كالنجم
يبدو حيناً قريباً وهو جد بعيد ... هذا العذاب يراه (محسن)
أحلى وأشهى ما فى الحياة .

فرق بين الشرق الذى يؤمن بالآديان وروحانيتهما وبين الغرب
الذى يؤمن بالعلم والمال وحدهما ...

ان ايمان الشرق العميق بالدين يمثله شهداء المسيحية وأصحاب
بدر ... وحين تسلم الغرب من الشرق الآديان (البسها أودية
موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ،
واقبضها صولجانات الجاه والجبروت الأرضى ! ان الكنيسة فى
أوريا كانت — فى يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظائرها
الرأسمالية لادق نظام . وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت
المالية ، وتقوضها اذا شاعت فى طرفة عين ، غلين ذهبت كلبة
المسيح ؟) ص ١٦٥ .

ان أوربا هى الوحيدة التى أعدمت فى يوم علماءها حرقاً ،
واتهمتهم بالسحر والجنون ، وخفقت حرية الرأى حتى فى شئون
الأدب والفن ، وجعلت من المسيحية التى تبشر بالمحبة والسلام ،
سلاحاً للفتك أمام محاكم التفتيش .

عرفت حضارات الشرق (العلم) و (العلم التطبيقي) الحضارة
التي تشيد الأهرام لا يمكن أن تجهل العلوم النظرية والتطبيقية ،
ومع ذلك فان ذلك العلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور
التي تمثل الحياة الأخرى ...

ان حضارات الشرق التى عملت للدينيا والآخرة حضارات
« كاملة » . أما الحضارة الأوربية بكل غرورها فقد قدمت للناس
بعض الراحة فى أمور معاشهم ولكنها أخرجت البشرية وسلبتها
طبيعتها الحقيقية وشاعريتها وصفاء روحها ... اننا بالقطارات
والطيارات كسبنا السرعة ولكننا خسرنا ثروة النفس التى تنمو
باتصالها المباشر بالطبيعة ...



والكتاب يعنى أن انسان الغرب عنده نزعة تحطيمية وهى عدم
الايان بقيمة أى قيمة ...

ان حضارة الغرب تدرس الاشياء لا الانسان ولهذا لم يكتشف
الانسان الى اليوم ...

ان مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الانسان المعاصر
المتشقق نفسياً .

تسود الغرب روح نهلستك أى روح عدمية .

وأوربا وأمريكا فى الحديث تقابلان التعبير التاريخي القديم
جريكو رومان .. أوربا تقابل الشق الاول : جريكو ، وأمريكا

تقابل « رومان » . فالأمريكان رومان العصر الحديث قوة ومضلات
وغشامة ... الأمريكى أمامه طريق طويل لكى يتحضر .. أنه
يملك المال والنفوذ ولكنه لا يملك التراث أو الحضارة .. حتى
المسيحية التى جاءت من عندنا كانت أكبر منه فلم يهضمها ولم
يعرف قيمها العليا من محبة وسلام ...

نحن فى الشرق ومصر عندنا قدرة على التكامل تعادل قدرة
الإنسان الغربى على التجريد وهو عاجز عن التكامل ... عاجز
عن الرضا .. الطمأنينة ... السعادة الداخلية ...

الغربى عنده علم ووسائل .

ولكن ليس عنده غايات .

ولذلك يجدر بنا عندما نتكلم عن (روح العصر) أن ندرك أن
روح العصر هذه لها بعدان فى الزمان والمكان فروح العصر فى الغرب
عدمية تحطيمية ولكن روح العصر فى الشرق شئ آخر .. تفاؤل
وايمان واحساس بالتاريخ وبالقيمة ...

إنسان الغرب فى حاجة الى روح وهو ما أراد يونج أن يقوله
فى كتابه : Modern man in search for a soul

والكاتب فى (مصفوف من الشرق) ينتقد النظام الصناعى الذى
أوجد النظام الرأسمالى وينقد أسلوب التفتيت فى الصناعة الذى
ذهب بمتعة الخلق الكامل وأورث العاملين ملالة التكرار واستشهد
بنقد أبناء الحضارة الاوربية أنفسهم لها مثل الكاتب الانجليزى
(الدوس هكسلى) الذى يصف حضارة أوربا بأنهاكم لا كيف ...

كما نقد الكاتب (الشيوعية) على لسان صديقه الروسى الذى
يقطع بأن جنة الفقراء لن تكون على هذه الأرض .. وأن
المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض ... لقد عرفت أحيان

الشرق النفس الانسانية ففتحت لها ابواب السماء التى بشر بها
انبياء الشرق .. جزاء للصابرين ومن حسنت أعمالهم .

ولكن « الغرب » أراد هو أيضا أن يكون له أنبيأؤه ، الذين
يعالجون المشكلة على ضوء جديد ، وكان هذا الضوء منبعثا هذه
المرّة من باطن الارض : لا آتيا من أعالي السماء ... هو ضوء
العلم الحديث ... فجاء « كارل ماركس » ومعه أنجيله الارضى
« رأس المال » وأراد أن يحقق العدل على هذه الارض فقسم
« الارض » وحدها بين الناس ونسى (السماء) فماذا حدث ؟
حدث أن أمسك الناس بعضهم برقاب بعض ، ووقعت المجزرة
بين الطبقات تهاافتا على هذه الارض .

وكأنه القى تفاحة بين أطفال يتلمظون !

وكأنه هذا الكارل ماركس القى قنبلة المادية والبعضاء واللهفة
والعجلة بين الناس ...

أما انبياء الشرق فقد ألقوا زهرة (الصبر والامل) فى النفوس .

ان روح (المسيحية) كما نبتت فى الشرق : هى المحبة والمثل
الاعلى ... وروح (الاسلام) الايمان والنظام .. ومسيحية اليوم
فى الغرب هى : (الماركسية) .. أما اسلام العصر الحديث فى
الغرب فهو (النازية) .

تلك هى الديانات التى استطاع الغرب أن يخرجها للناس يوم
أراد أن يزاحم الشرق ويخرج للعالم أديانا .

فى كتاب (عصفور من الشرق) روح اشتراكية خيرة فى غير
عنف ، عادلة فى غير تعسف ، أو تخريب ، فهو يحلم بالسلام والحب
والرخاء للجميع وينفر من رق رأس المال وتحكمه ...

(ان الغرب يستكشف الارض ، والشرق يستكشف السماء ...
اننا نجد ذلك الذى أسكن الانسانية (قارة جديدة) لكننا لا نرى
مجد ذلك الذى أصعد الانسانية وأسكن الانسانية « السماء » .

ولا يعنى هذا تفضيل الكاتب الشرق على غلاته فقد أحاط
بضعفه حين استسلم للاستعمار كما أنه لم يتردد في الاشارة
بالغرب كلما وجد موضعاً ...

فالمسرح في الغرب ليس كذلك الذى وصفه عفدنا المويلحي في
حديث عيسى بن هشام ، ولكنه مسرح يخيم عليه سكون قدسى
كسكون المعابد .

وموسيقى بيتهوفن ان هى الا (وحى السماء يتكلم بمختلف
المشاعر العظيمة التى رفعت الانسانية الى هذه المرتبة) . ويؤمن
على كلمة « نيتشه » فيه (كل العواطف البشرية السامية في
السيفونية الخامسة) .

وهناك عصفور من الغرب يجب أن يقرأه الشباب ليستردوا
ثقتهم بآمتهم . أعنى كتاب (شمس الله تشرق على الغرب)
للدكتورة سيجريد هونكه وهو كتاب عالى لو لم يكن علمى المنهج
والتفكير والأسلوب لما استقبلته اللغات والشعوب هذا
الاستقبال .

ما هى دلالة المظاهرات الصاخبة التى تقوم في أشد بلاد أوربا
تقدماً ورقياً ، ان هذه الظاهرة تعنى افتقاد هذه البلاد للروح ...
لا أعنى أن هذه العبارة تنسحب على كل من فيها ... ان الانصاف
يقتضينا أن نقول أن طغيان المادة في أوربا لم يطمس كل شيء
فيها كما ان الايمان في الشرق باعتباره مهبط الاديان السماوية
كلها لا يسرى في كل قلب ولا يلمس كل نفس حتى وان أدت

الفرائض في ميكانيكية آلية فكم من صائم بيننا ليس له من سيامه
الا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من صلاته الا القيلام
والقعود .

ان الدين حسن الخلق وأن الاعمال بالنيات وأن أنفع الناس
أنفعهم للناس وأن العمل عبادة وأن التفكير فريضة اسلامية لانها
فريضة انسانيه وان الانسان اكرم المخلوقات وان احترام العقل
الانسانى واجب دينى فهل ندرك هذه المفاهيم ونفسرها حقاً
تدريها ؟ هل نطبقها في حياتنا على المستوى الفردى والمستوى
العام ؟

اننا نبسمل كثيراً ونحوقل ونشيع العبارات الدينية في حديثنا
حتى ليخيل الى من يرانا أن اطرافنا تنقطر تقوى ولكننا في بلاد
القبليين والمسجدين والانبياء والرسالات نجد أن الاعم الاكثر من
المستشفيات والملاجىء والمدارس من عمل الحكومات لا الافراد
الخيرين . . ان اعظم عمل يقوم به الفرد الغنى منا في نظر نفسه
اذا هزته اريحية أن يبنى مسجداً والمساجد كثيرة والاسلام لم
يحصر العبادة بين جدران اربعة .

ولو فتشت في التاريخ لوجدت ان عصر بناء المساجد الكثيرة هو
اشد عصور التاريخ الاسلامى ظلماً وعسفاً واستبداداً
مما كثر مخلفات الممالك في مصر كانت المساجد ، والممالك
هم من هم ، كما نعرف ، في الجور والنهب ، والسلب ،
واستباحة الأنفس والأموال فبناؤهم المساجد ما هو الا تغطية
أو تكفير عن الذنب .

فنحن في سبيل الاحتفاظ بالنظرة الموضوعية وتوازن الشخصية
الفكرية يجب ألا نعمم الآراء بغير استثناء وإلا نطلقها إطلاقاً
مسلحاً يحجب الاعماق ويحجب معها حقائق كثيرة .

نحن نشكو اليوم من أمية العقل ونفعل عن أمية أخرى لا تقل عنها خطرا وهي أمية الشعور .. حين نعمل أوقافنا بالأمس القريب والبعيد بلفتات إنسانية مضيئة فهناك وقف على الخدم الذين يكسرون بدون عمد آنية مخدمهم وهناك وقف على الحيوان لأنه أعجم لا يبين وكثير غير هذا مما ينم على رهافة الشعور وشفافية النفس .

أقول هذا حتى لا نستقيم الى القول بأن الشرق روح والغرب مادة ففى ذلك الغرب أمثال اللورد نافيلد الذى أنفق الملايين حقيقة لا مجازا على إقامة المستشفيات والملاجئ ووجوه البر الايجابية .

وفى الغرب المادى أمثال العالم الفرنسى جان روستان الذى أثبت فى أبحاثه وجود عالم الروح وأعلن عن وجود قوة خفية تسير الكون .

وفى الغرب المادى متصوفة مثل سوينبرج يلتقون بالحلاج ورابعة العدوية .. وفى الغرب المادى زهاد كابى العتاهية يصلح شعرهم الروحى غذاء للنفوس كالشاعر الانجليزى وليم بليك .

وفى الغرب المادى أسر كبيرة وكثيرة تحافظ على أداء الفرائض الدينية محافظة دقيقة بل فى الغرب أسر تنذر أحد ابنائها لله فتجد قسسا ورهبانا ينحدرون من آباء ذوى مراكز مدنية مرموقة .

وأسر أخرى محافظة لا تسمح بالاختلاط المفتوح على مصراعيه ولا تبيع الجلسة أو الرؤية الا فى نطاق الاسرة او وجود أحد المحارم . وقصة اقتران لويس باستور بزوجه خير شاهد على هذا .

ان ستيفان زيج في مذكراته يعزو رقى العلم فى فرنسا الى

الزوجة الفرنسية فهي بما تبذله من ذات نفسها لتوفير الراحة
لزوجها انها تمنحه السلام النفسى الذى يعينه على الانتاج والعطاء.

ولكننا ننسى هذا كله أو نناساه ولا نذكر للمجتمع الغربى الا
الخلاعة المحصورة هناك فى مناطق معينة والا نظام الترسى الذى
مكن له هناك استحالة الطلاق حين نفعل أخطاءنا وأحياناً عن عمد
بدعوى الوطنية مع أن المرء مرآة أخيه

اليسست النظافة فى ديننا مقرونة بالإيمان بل هى منه حتى ليخيل
الى من يقرأ النصوص والتعاليم أن الدين سدها ولحمته النظافة
والحياء فهل نحن حريصون على مظاهر النظافة حتى فى أنفسنا ؟
هل من الحياء فضولنا غير النافع الذى يدس أنفه فى ثقب كل باب
وينفق من وقته فى جمع الأخبار الصغيرة ما لو أنفقه فى تحصيل
علم أو جنى معرفة لأثرى شخصياتنا فتغير الكثير من أساليبها فى
الحياة وتعديل تبعاً لهذا التغير الكثير من مفاهيم مجتمعاتنا وأختنى
الكثير من أمراضنا الاجتماعية وتقدمنا خطوات نحو حياة أفضل ؟

ان تقديس العمل واجب ، كما أن تقدير العاملين واجب أيضاً
فهل نحن وذوو المرتبات منا خاصة يلتزمون الإمانة الواجبة فى
تأدية أعمالهم ؟ وهل عندنا نظام الحوافز الذى يكافئ الجهود
المخلصة ويستحث الجهود التى على الطريق ؟

ان الذين رأوا منا الغرب على الطبيعة وتعمقوا الاشياء
والدلالات عرفوا كيف يميزون الحدود . الفاصلة بين الخير فيه والشر
وعرفوا كيف يأخذون أحسن ما عنده ويضيفونه الى أحسن ما عند
الشرق لينصلح أمره . ويبصر طريقه فى غير تثبط أو تضليل من
دعوى استعلاء أو غرور .

ومن هنا قامت نهضة الشرق على اكتاف رفاعة الطهطاوى وجمال
الدين الأفغانى ومحمد عبده ثم على اكتاف تلاميذهم من بعدهم .

بل أن الشيخ محمد عبده كان يقول بعد أن عاش في الغرب حين كان يحرر (العروة الوثقى) في باريس :

(إن أهل أوربا هم مسلمو هذا العصر .. إما نحن فكفرتهم) .

قد نكون معذورين في نظرنا إلى الغرب بمنظسار أسود فان الاستخراب ولا أقول الاستعمار قد لوث فكرتنا عنه وأورثنا البغض الشديد لكل ما هو غربي - وإن كان بعضنا يقف في الطرف الآخر متحمسا لكل ما هو غربي كرد فعل ، أو لون من الجميعين الشيء ونقيضه ، أو لاعتبارات شتى من نوعية الثقافة أو النشأة . قد نكون معذورين ولكننا في مقام تقويم أنفسنا وتمييز ذاتيتنا يجب أن نحرر أراقتنا وعقلنا من أسر النظريات الشائعة والأقوال السائدة ونعيد النظر في كل شيء في موضوعية وتجريد علمي نزيه .

إن ابن البلد عندنا فلسفته أن يتعامل مع الوجود بغير بحث مكتوب .. أسلوب حياة ... وهو يكره التعقيد والتقليد ويجب هذا قوله لحدثه إذا تقعر أو تشدق : بلاش فلسفة وهو يعني بلاش بغبة ...

إن داخل كل إنسان مبدأ للحياة ، قد يولد إنسان ويموت دون أن يكشفه ، ولكن هذا لا يعني أنه غير موجود ... وواجبنا أن نعين النشء على الانبعاث السلوكي على مستوى الأفراد ، ونعين الأمة على الانبعاث السلوكي على مستوى الجماعة ...

ومن هنا يتحدد موقفنا من حضارة الغرب ... بمعنى أننا نستطيع أن نبتعين بعلوم الغرب وفلسفاته وبالوسائل الحضارية دون أن نفقد ذاتيتنا . فرجلهم (يونج) يقول (لا يمكن للإنسان أن يصير غنيا بالاستجداء) ...

إن التعارض بين الشرق والغرب ، ذات وقته كما يقول الأستاذ مريت غالي (لأن تعارضا أخطر قد برز في مقدمة المشاكل العالمية)

هو الناتج عن مساهمة الخلف بين البلاد الشمالية المتقدمة والثرية، والبلاد الجنوبية المتخلفة والفقيرة ، وما التعارض بين شرقنا وغربنا في حوض المتوسط سوى جزء من ذلك التعارض العالى بين الشمال والجنوب ، الذى يتوقف على حله مستقبل الجنس البشرى وانى أوافق تهما على أن ثنائية الشرق والغرب قد ماتت وقتها ، ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين » .



نريد أن ننظر الى الحياة نظرة مستقبلية لا تجذبها الى الخلف والتخلف سلاسل' الاوهام .. وذلك من أجل مصلحتنا نحن قبل الآخرين ...

لنسال انفسنا : كيف نعيش ؟

ليس من عيش كمن يحيا

كيف نعيش ؟ نحن في طريقنا الى تصحيح وضعنا السياسى من دول الاستعمار ، وثبتت وجودنا الحضارى بين دول المدنية الحديثة في حاجة الى تصحيح كثير من الاوضاع الاخرى واعادة تقييم كثير من المفاهيم والعادات والتصرفات في حياتنا ..

نحن لا نحيا حياتنا كما يحيا الناس .. ان كثيرين منا لا يعرفون معالم بلادنا كما خلقنا للسياح وحدهم ... وذلك ان الفرد العادى يتبع عقله عينه فهو لا يفكر الى ابعد مما تنظره تلك العين ... انه يؤدي عمله المائل امامه في رتابة مملة لا تجديد فيها ولا ابتكار ولا فن فاذا فرغ منه عاد الى بيته محدودا من الخمول لا من التعب ، او انحط على كرسى في مقهى يحتسى الشاي ويلعب الورق ... ولو انتشرت في مدننا الحدائق العامة والنوادي الخاصة والمسابقات الرياضية والفنية ، والندوات الادبية واللقاءات العلمية لتغيرت نظرنا الى اوقات الفراغ وتغير اسلوبنا في العمل ايضا .. ان الاصحاء في البدن والعقل يجدون ويلعبون ويضحكون ويتمتعون باطياب الحياة التى اهلها الله .

ان الرياضة لعب .. وركوب الخيل لعب ، والسباحة لعب ،

وان الضحك يجدد شباب القلب ويلون الحياة بلون وردى فينشط
الانسان بعده للعمل .. والعمل الجاد اذ وجدت عنده الطاقة له
والقدرة عليه ..

ان السفر والرحلات متعة وثقافة معا .. كم من الاسر عندنا
يعيشون حياتهم على هذا النمط .. بل كم من الاسر يخرج افرادها
معا ويتساوون في الحقوق والواجبات ، ويتعاونون داخل بيتهم
الواجد !

كم بيتا من بيوتنا فيه مكتبة للقراءة وفيه آلة موسيقية يعرف
عليها هاو من افراد الأسرة ؟

لقد رأيت أيام الاحاد في البلاد الاوربية اياما مقدسة فيها الصلاة
في الكنائس وفيها الصلاة في محراب الطبيعة .. مهرجانات ورحلات
بالزوارق في البحيرات ، قطارات تغدو وقروح بهواة الصعود الى
قمم الجبال .. والمطاعم ليس فيها مكان خال لان الكل يريد تغييرا
شاملا .. يريد أن يقضى يوم الاحد كاملا في الخارج ينتقل من متعة
الى متعة .

كيف نقضى نحن يوم الجمعة ؟

اننا لا نقتصنا الصناعات بأنواعها من خفيفة وثقيلة بل نقتصنا
وفي المقام الاول أن نعرف كيف نعيش .

واذا لم يكن في استطاعتنا أن نطيل أعمارنا أكثر مما قدر لها فنى
مقدورنا أن نجعلها أغنى ، وأعمق ، وأجمل ، وأهنأ ، وأبقى
أى نعيشها بالعرض ... أن نملا كل دقيقة من حياتنا بالبهجة ،

الضحك من القلب بهجة ، وإدخال السرور على الناس بهجة ،
والعطاء ماديا وفنيا بهجة ، والخلق بهجة ، وتفوق الجمال والفن بهجة ،
ومنح الحب بهجة ، وإثالة العثرة بهجة ، والقراءة بهجة ، والرحلة

في الارض بهجة وكذلك الرحلة في النفس والرحلة في الزمن ،
والرحلة في الماضي .

الانتصار للحق بهجة ، وقرار العدل بهجة ولو انها غالية
التمن ...

كم من مباهج تزخر بها الحياة ولا يراها بعض الناس .
ولكن هذه المباهج غذاء للروح فماذا عن الجسم؟ ما هو أسلوبنا
في الطعام ؟

لقد قلت ان المطبخ المصري آفة من آفات الشخصية المصرية
فماذا نأكل وكيف نأكل ؟

وليس المقصود بالاكل ملء البطون بالطعام والشراب فذلك
لا فني ولا خير منه .. ولكي أتصد بالاكل نوعيته لاحجه ...
الكيف لا الكم .

ان المقصود بالطعام ان يكون غذاء اى يحتوى على عدد معين
من السعرات الحرارية ويحتوى على نسب معينة من النشويات
والسكريات والدهنيات بحيث تمد الجسم بالطاقة المطلوبة له .
فهل يخطر ببالنا هذا كله ونحن نعد طعامنا ثم نتناوله ؟ أم اننا
ننشد أولا حسن المذاق ؟ ولذة الطعام ؟ هل نأكل مثلاً في مواعيد
ثابتة لا تتداخل ولا تختلط ؟ هل نتبع نظاماً معيناً ؟ هل نلحق صفارنا
آداب المائدة وأسلوب المؤكلة وكيفية استعمال الأدوات المختلفة؟

لقد جنى علينا في سائر البلاد العربية تقريباً المطبخ التركى
بدسمة ولذائذه التي تحمل في ثناياها كثيراً من أمراض المعدة
والكبد ونحن نعلم جيداً قول النبي صلى الله عليه وسلم (المعدة
بيت الداء والحمية رأس الدواء) وثال فيما يتصل بقواعد الطعام
(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) وهى قاعدة

صحيحة لا تخيب .. ومن العجيب أن علماء التغذية لم يزدوا عليها شيئاً بعد بحوث طويلة حصيلتها في النهاية عدم انزال طعام على طعام وعدم الامتلاء ..

ان أمراضنا كلها لو حللتها ترجع الى : افراط التغذية أو ضعف التغذية أو سوء التغذية وما يتصل بهذا كله من عادات سيئة نتفشى علينا .

لقد رأيت في سويسرا عددا كبيرا من المسنين الذين يتجاوزون السبعين وهم منتصبو القامة . منتظمو المشية ، نشيطو الحركة .. لا يزالون متفتحين للحياة ولهم فيها مشاركة ايجابية . بل اننا في احدى الرحلات الليلية على البحيرة اخترنا نحن أن نأخذ مكائننا داخل الباخرة حين كان رجال ونساء في سن آبائنا بل أجدادنا يجلسون على السطح في الهواء الطلق كما يقولون ... ومن الطريف أن هذا الهواء الطلق كنا نسميه نحن بردا قارسا .

ان هذه الصحة سرها كله في نظام طعامهم الصحى الذى يعتمد على الخضروات الطازجة والفواكه والمسلوق ...

ترى هل نأخذ عبرة ؟ مع أننا نعيش في جو حار ، وأرضنا تجود فيها الخضر والفاكهة على مدار السنة ؟

* * *

هذا عن أنفسنا . ونعود الى السؤال مرة أخرى متصلا بأولادنا . كيف نعيش في أطفالنا ؟ أى ماذا نعطي لأطفالنا ؟

هناك يعطون للطفل الكتاب المصور ، والصور الملونة ، واللعب الموجهة التى يجد متعته كلها في فكها وإعادة تركيبها ... يعطونه الطعام الصحى لا الدسم ... يعطونه الحنان الرشيد لا الضمار الذى يفسد شخصيته ويجعلها اتكالية وشديدة الحساسية من فرط ما ألف من التدليل والاستجابة العمياء التى هيئات أن يعثر عليها في الحياة العامة عندما يصبح رجلا أو امرأة ..

هناك يعطون الطفل البرامج الجميلة والافلام الخاصة ويعطونه العلم مدروسا ومشوقا .. هناك القواميس الملونة الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف للزهور والنباتات .. كل شيء هناك مدروس من أجل الطفولة ...

أمامي منهج المحفوظات الانجليزية الموضوعة لاطفال السنة الثالثة بالمرحلة الابتدائية ... وجدت فيها مثلا هذه القطعة عن (عبور الطريق) وترجمتها :

قف وانظر واسمع
قبل أن تعبر الطريق
استعمل عينيك وأذنيك
ثم استعمل قدمك .
انظر يسارا ويمينا
عندما يكون الضوء أحمر قف
عندما يكون الضوء أصفر استعد
عندما يكون الضوء أخضر سر آمنا
وقطعة أخرى تقول تحت عنوان : (بذرة البرتقال)
لا ترم أبدا بذرة البرتقالة
على الأرض أرجوك
ان قطعة منها تحت كعب
قد تكسر قلما

بدون تعقيد .

هكذا يعلمونهم الحياة والسلوك بدون خطابية ... وفي سهولة
وفي كتاب آخر خاص باللغة رأيت فيه كيف يعلمون الكلمات
الانجليزية بالشعر الخفيف مثل : ضع حرف كذا مع كذا فيصبح
عندك قطا .

وضع حرف كذا مع كذا فيصبح عندك كرة .

ومع هذه المسميات صورها ملونة وفي أوضاع مضحكة تسر
الطفل وتسليه .

هكذا يعلمون لغتهم حين نبدأ نحن تعليم لغتنا لأطفالنا بالنحو
ونلقنهم في جدية صارمة ان الكلمة تنقسم الى اسم وفعل وحرف
فإذا وصلنا الى (الجملة) فلا نجد في لغتنا التي نطنطن بعنساها
ووفرة مفرداتها الا هذه الجملة التي لا تتغير كأنها تحفة :
(ضرب زيد عمرا) !!

وهي سيئة لفظا ومدلولا وأثرا في نفوس طفلة سهلة الالتقاط
والانطباع .

ثم نلوم أولادنا ، كبارا ، على تصرفاتهم ثم على نفورهم من
دروس اللغة العربية !!

لخص الاستاذ سامح الخالدي عيوب التعليم في مؤتمر الدراسات
العربية سنة ١٩٥١ ماذا بهذه العيوب لا تزال مُموسة اليوم أي
بعد ربع قرن تقريبا . وما قاله عن مدارسنا في البلاد العربية بعامة
أن (التدريس فيها ميكانيكى يعتمد على ذاكرة الطالب في الدرجة
الاولى . والاعتماد على الحفظ هذا من ميراث عصور الانحطاط
خاصة . كما أن الفرد فيها مهمل ، فشخصية الطلاب مضغوط
عليها . ولهذا تؤلف وحدات مكبوتة ، وقد شل فيها ابتكار الطالب
وتفكيره الحر الطليق وخياله . والروح الرياضية الحقّة معدومة
فيها ، فالألعاب تلعب للقلبة ، وما زال الفرد فيها هو المهم ،
وما زال الجهور . يصفق للفرد اللاعب فيها لا للمجموع . كما أن
التربية الدينية الحقّة المثلثة في المثل العليا لا وجود لها . فالدين
مفهومه الحقيقي لا يؤثر تأثيرا فعالا في حياة الطلاب من الناحية

الخلقية . والتدريس الدينى سطحى ، والروح الدينية التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والى انصاف الناس والتفزه عن الصغائر بمقودة . وكتب الدين سقيمة لا تفى بالمراد ، ولا تنمى هذه الانظمة الشعور الوطنى ، اى شعور التمسك بالوطن والاستعداد للتضحية من اجله ... الخ) .

وأضيف أن من عيوبنا التركيز على الكلمة وحدها وإهمال الصورة ... والصورة المقصودة الـ Image بعد ربع قرن تقريبا أى الصورة المحسوبة ثقافيا .

يجب أن نتجه الى التعليم الموضوعى للطفل بالصورة ... بلغة المنظر . فنعرض له بالصورة الطبيعية الملونة ، **الحيوان** (كموضوع) فى جميع العصور والمناطق : فالحيوان هو (الحياة) والله يسمى الدار الآخرة (الحيوان) اشارة الى الحياة الاخرى .

يجب أن ننفض عن أطفالنا تراب العادة والمفاهيم الثابتة .

موضوع **العمارة** فى جميع العصور والمناطق (معبد ، كنيسة ، مسجد ، ملعب ، متحف ، مدرسة ... الخ) .

والعمارة رمز المدنية والمدنية لانها تساوى الاستقرار .

العمارة مسرحية متعددة الشخص والارواح .

موضوع **الآلة** أى **العلم والصناعة** فى الفن والحياة مثل ظهور السينما — الكاميرا — التلفزيون — الآلة .

التعليم الموضوعى للطفل نقسمه الى ثلاثة أقسام :

١ — **ما قبل الحضارة** — ويمثله عالم الحيوان .

٢ — **اكتشاف الحضارة** — وتمثله العمارة .

٣ — **الحضارة فى خطر** — وتمثله الآلة .

يكفى أن يعرف الطفل بعد عرض الكثير ، أن هذا جزء من الممكن
ليصير عنده احساس بالندم على يخرج منه تولستوى أخسر أو
غزالي آخر . أن الفن أسلوب في رؤية الوجود وليس (فورم) .

أما المعلم فيجب أن يكون موجها فـالمعلم الملـقن يحجب العمل
الفنى كما أثرت . وخير وسيلة للتعليم كما يقول تولستوى هي :
العمل .

هناك يلجأ ون الى طريقة الحفز في التكليف بالواجبات كأن يقول
المدرس لتلاميذه : كل منكم يعمل في المساء ساعة في الحساب في
باب كذا .. ولا يحدد عدد المسائل ، فالذى يحدث عادة أن كل
طالب يحل عددا من المسائل أكثر كثيرا مما يملأ ساعة ، اظهرا
لقدراته وتسابقا مع زملائه ، وارضاء للمدرس .. يفعل هذا
الطالب وهو راض ، بل مزهو ، لأنه يشعر أنه يعمل بمحض
اختياره وهو في الحقيقة مدفوع دفعا غير منظور ..

السنا بحاجة في سائر المجالات الى أسلوب الحوافز بدلا من
أسلوب الامر والنهي الذى نهواه جميعا ، ونمارسه بمجرد أن
تسنع فرصة ، وليته يجدى فنان الذى يقرأ مذكرات النابيين منا ،
أو من غيرنا يروعه أن الاوامر والنواهي التى وقفت في طريق
هواياتهم ، سواء في الأسرة أو في المدرسة أو حتى في الحياة العامة ،
لم تثنتهم عن عزمهم بل زادتهم اصرارا ، واشعلت رغبتهم . فتوفيق
الحكيم أراد أبوه أن يكون قانونيا ، لا أدبيا فنانا . وتوفيق الحكيم
بدوره أراد لابنه اسماعيل أن يكون مهندسا ، فاذا به اليوم عازف
جيتار وقائد فرقة موسيقية . والموسيقار القصبجي أراد له
أبوه أن يكون عالما في الازهر لا موسيقيا .. والدكتور طه حسين
أراد له أبوه أن يكون عالما في الازهر ، فاذا به يشور على نظم
التعليم فيه في ذلك الوقت ، ويتجه الى الجامعة المصرية ويتعلق
بها طالبا فاستاذا فعميدا ..

لقد وصل هؤلاء حقا الى بغيتهم ، ولكن بعد تبديد طاقات كثيرة في المقاومة ، ومحاوله الملاعبة والمواعبة بينهم وبين مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة ، لو وفرت هذه الطاقات لتسير في طريقها الاثير عندها ، لبكر عطاؤها وتضاعف .

ولكن تغيير اسلوبنا لا يأتى عفوا ، بل يجب أن يبدأ من البداية أى من البيت والمدرسة ، فان مفاهيمنا في التربية ، ومفاهيمنا في التعليم ، آتية من آفات الشخصية المصرية .

ان الطفل هو الانسان الجديد الذى لم يزيفه الكبار . والنظرية التى تقول ان كل انسان يحتوى كيانه فضلا من أى نوع ، نظرية صحيحة تربويا وديمقراطيا . . فلماذا نصر على القاء التعليمات ونسرف فيها ؟ لماذا حين تستبد بنا شهوة تغيير شيء فى الطفل ، لانسأل أنفسنا كما يقول « يونج » عملا اذا كنا نحن فى حاجة الى التغيير لا هو ؟

ان الإنسان صغيرا أو كبيرا فى حاجة الى « السيادة » . . أن يكون سيد نفسه أى قادرا على العطاء محققا لذاته . . . حتى للقرآن والانجيل يجب حين نقرأهما أن نسمعهما من « الداخل » ، فى عملية تجديد الفكر الدينى كما يقول « اثنال » ، فان توكيد الروح الذى سعت اليه المسيحية يتحقق لا باستبعاد القوى الخارجية التى تخترقها أنوار الروح بالفعل ، وانما يتحقق بتنظيم علاقته الإنسان بهذه القوى الخارجية ، على هدى النور المنبعث من العالم الموجود فى أعماق نفسه . . يمثل هذا الأسلوب تربية المدرسة ، شخصية الطفل حين تثبت فيه وعيا خلاقا للقيمة والا أخرجت منه فردا مكررا ضائعا فى الزحام . . وفسرق بين الفردية والشخصية .

الشخصية تولد طفلة ثم تنمو ، غذاؤها العلم والتجربة
والحياة .. وهى قابلة للنمو الى غير حد ...
أما أسلوب التلقين المتبع فى مدارسنا فإنه يصنع قوالب
لا شخصيات . وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر ، فان ناقل العلم
ليس بعالم .. وانها العالم هو الخلاق المبتكر .

الشخصية هى الذات الساعية الى تحقيق ذاتها بالخلق .
الشخصية تكامل لامكانات البشر أى . غريزة + فكر + روح
أى بشرية محقة .

يقول الدكتور أحمد زكي فى مؤتمر الدراسات العربية الذى عقد
ببيروت سنة ١٩٥١ والذى طبع فى كتاب العرب والحضارة
الحديثة .

(ان التعليم عندى مفتاح كل مغلق من مغالق الحياة ، فى شرقنا
هذا العربى . ولو أنى خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ،
با اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال ، ولكن اختار التعليم
يشمل ويعم ، فهو الوسيلة الى المال ، وهو الوسيلة الى
الاستقلال ، وهو الوسيلة الى فتح كل باب مغلق يتنفق منه
الخير كثيرا وفيرا ...) .

ولكن أى تعليم ؟

هل تعلم المدرسة المصرية والعربية ، الطفل حب الطبيعة
باعتبارها **الأم الكبرى** التى تتطلب منا نحن معشر الابناء أن نبحت
وندرس ونتأمل ونتحرك ساعين فى الارض ، متحدين للعوائق فى
اعتماد على النفس ؟
الطبيعة أم ومعلم ومرب ...

أم لا تفطم وليدها ، لانه لا وجود له خارج رحابها ، فالشاعر

العربي حين صور الشمول ، لم يجد الا مظهرا من مظاهرها فقال
لمدوحه القادر عليه :

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع
ليت المدرسة تعلم الطفل أن الطبيعة كتاب الله الصامت ،
كما أن القرآن كتاب الله المقروء .

والقراءة في الحالىن أو الكتابين ، تتطلب النور المادى لرؤية
الحروف . وتتطلب أكثر النور المعنوى لرؤية ما وراء الحروف ..
لرؤية المعانى الحقيقية . والنور المعنوى هو الرغبة والشوق
والحماسة ... انها كالزواج قبول وإيجاب ... كثيرون يقرأون
ولا يستفيدون كالولئك الذين يتزوجون ولا يسعدون ... نحن
نزور القبول في القراءة ، وفى الحياة بشكليات .. تصفح النسر
من الخارج دون الفوص فيه والامتزاج به ، كسؤال العروس بينها
بجب أن تقبل أولا ... أن تختار ... ترضى ثم يأتى عقد
القران وكم من نساء يتزوجن ويلدن ويعشن فى الحرام على
الرغم من عقود الزواج ... وكذلك الكتاب الذى يقرؤه عجلا ، مع أن
القراءة الحقيقية تأمل وتودد وصبر يكون كالرافعة الوجدانية تنقل
القارئ من حالة عادية الى مرتقى عال .

هل تعلم المدرسة البنت كيف تلبس وكيف تجلس وكيف تتحدث
وكيف تتزين وكيف تتصرف ومتى تتكلم ومتى تصمت ؟ هل
تعلمها أن الجهال الغالى (تركييه) صعبة من هذه السمات
جميعا ؟

هل تعلمها أن الحب ليس الفارس والحصان الأبيض ... الخ
تهويمات القمص والاساطير التى يكتبها أصحابها لتزجية الوقت ،
او تسلية الفراغ عند الحالمين والحالمات ؟ وأن الف ليلة
وليلة قد يكون فيها الكثير من حياة مصرها ولكن مصرنا لا ،

هل تعلم المدرسة ، البنت ، أن مجنون ليلى أو تيس ولبنى ،
أو جميل بثينة أو كثير عزة ، أو العباس بن الاحنف و « فوز » أو
ولادة وابن زيدون قصص شعرية ، شاعرة وأنها مع هذا صحيحة ،
وفيها لمسات انسانية الا أن عصرنا له طبيعة أخرى ؟

هل تعلم المدرسة البنت أن عصرها قطع أشواطاً بعيدة بعد
(آلام فرتر) و (رغائب) و (حياة لا مرتين) و (رورميو وجوليت)
و (كليوبطرة) ؟

في سائر اللغات قصص لا تحصى عن الحب .. ومع هذا نالجب
لا يصلح للاقتباس كفنون الادب ، أو التقليد كالأزياء .

وليست اللغات وحدها فالتاريخ زاخر بقصص الحب ... لم
ينج منه أحد حتى رجال الأديان .. من عفا منهم كقص سلامة ،
ومن أسف ، كراسبوتين ...

ومع هذا فالحب ، الحقيقي ، في سائر ألوانه نعمة وعطاء
وحنان ... والذي يحنو يمنح ولا يسلب ، ويسمو ولا يقسو ،
ويلين ولا يجفو ، ويتسمح ولا يشتط .

هل تعلم المدرسة أو تسلم بالجنس تطرحه في موضوعية عليية
مستقولة ، بدلا من أن يدور الهوس بين رفقاء العمر وتتخافت
الاصوات ، ويعلو الضحك المكتوم ، وتتقارب العروس ، ويطل
الفضول كله من العيون ، وتدمى الشفافة من العنق عليها من
الخلج المصطنع أو الحقيقي ؟ مما يلقي في السروع أن الجنس على
اطلاقه عيب وفاضح وفادح ؟

ان العيب هو امتهان الجنس والاباحية .

هل تعلم المدرسة البنت والولد على السواء كيف يختار شريك
الحياة ؟ على أساس من التقاء الشعور والفكر معا ؟ فانه لا يطنىء

القلب مثل تفاوت المستوى الفكرى بين زوجين يكون أحدهما في واد ، والآخر في واد آخر ... انها الوحدة القاتلة وان رآهما الناس ، وسقف البيت ، اثنين .

لا يكفى أن يعيش الانسان بل لا بد أن يحيا .

وعندما يتحول الزواج مع الشيخوخة الى الفة قوية ، وصداقة عميقة تكون مواهب الروح خير بديل عن متعة الجسم التى يكون الزمن قد فرغ من التهامها .. ولكن الزمن نفسه لا يستطيع ممارسة هوايته المفتونة بحفر التجاعيد ، مع الروح الخضراء المتجددة النضرة .

ولكن ليس معنى هذا عبادة العقل وحده فهو أحيانا عند بعض الناس يتسيد على حساب جهود العاطفة أو نضوبها ... وهذا الطراز لا تسعد صحبته .. ان رحلة العمر تحتجاج الى القلب والعقل معا .. الى الجسم والروح معا ... وافتقاد عنصر من هذه العناصر يسلم الى الشقاء الذى يستعصى على العبادات النفسية .

لابد من هزة عنيفة للمدرسة المصرية ففها بعد البيت ، يعباد اليوم بناء الشخصية المصرية .

أى يعاد كتابة التاريخ .

وبعد : بعد كل السلبيات التى ذكرت بعضا ولايزال فى النفس حاجات ..

ماذا أقول ؟

ليس عندنا قصد فى القول ، أو تحديد للعبارة . مما يفسد علينا ذكاء الهدف وغايته الكبرى ... والا فهل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذى وقفت وراءه ورائات أمة وصبرها وتقديرها وتحضرها

وقدرتها القديمة في الإدارة ، ثم عذابها بالهزيمة والقهر ولهفتها على الأرض والنصر ... هل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذي يمثل ويمثل هذا كله الى ما نسمعه في وسائل الاعلام من التشويق بالعبور بمناسبة وبغير مناسبة ؟ وما درت أن البغبغة تقتل من الحدث التاريخي التحولى ، وتهبط به الى مادة دعائية أو اعلان ميلامين . ليس عندنا حلم ثقافى ... أو حلم فنى على الرغم من وجود الجامعات وتعددتها .. حتى التراث ، حفظه في مفهومنا ، معناه تجميعه وتشوينه مع أن الحفاظ عليه يعنى تفهمه وذكره واستلهامه .. ان حياة العلم مذكرته .. يروى الغزالي أن أحد الصحابة قال يوم مات عمر : اليوم مات ر. العلم . ولم يكتب عبه كتابا ، ولم يكن استاذًا في جامعة ، ولكن العلم قر في قلبه ، جوهره .. حين كانت عنده الرؤية الاسلامية الحقيقية .

وبعض التراث ، التقاليد . والتقاليد ليست التقليد ولا هي منه .. وليست الجهود كما يفهمها العامة .. والعامه هنا هم فقراء الفكر ولكن التقاليد عند الخاصة ، وهم هنا أثرياء الفكر لا المال ... وثبات الاجيال وعطاؤها .. انها منطلق لكل جيل متطور نام .

اننا اليوم نتكلم كثيرا عن السياحة ونعنى بالطبع السياحة الخارجية بشقيها أو بشطريها أى زيارة الغرباء لنا وزيارتنا للبلاد الاجنبية .. ولكننا نحتاج الى سياحة أخرى قد لا تدر مالا ولكنها تضيف اليها ثراء لا يقدر ببال أعنى السياحة في تراثنا فانها مولد جديد لنا ...

يقول الدكتور فؤاد زكريا من مقال «الى متى نغترب من حاضرنا» الاهرام ٢٨/١١/٧٣ (فى رأى أن ماضى الامة لا يمكن أن يكون له تأثير حقيقى فى حاضرنا الا اذا كان الخط بينهما متصلا . فثبته أى اتجاه فكرى ينتمى الى الماضى ، من حيث قدرته على تشكيل الحاضر ، انما تظهر أوضح ما تكون حين يصبح ذلك الاتجاه جزءا

من تاريخ متصل ومن حركة تطور مستمرة تتجاوز نفسها وتصحيح أخطائها خلال مسارها الطويل ، دون أن تتوقف خلال ذلك أو تنقطع ... والتراث الحقيقى فى اعتقادى ، هو ذلك الذى يندمج فى التاريخ التالى ويصبح جزءا منه بحيث يظل الماضى حيا فى الحاضر حتى بعد أن يكون الحاضر قد تخطاه وتجاوز به مراحل (.)

كتب الدكتور حسين مؤنس قصة رمزية سماها (ادارة عموم الزير) ويبدو أن عندنا ادارات عموم الزير ، ووزارات عموم الزير وكأنها أنشئت لتخلق وظائف لموظفين أو تكون مسرحا أو مفرحا تفرخ فيه القوى العاملة ، الخريجين ، كل عام من باب تغطية البطالة أو البطانة المقتنعة ... ولناخذ مثلا وزارة السياحة لو أن هذه الوزارة تحررت من الروتين وفهمت السياحة على أنها فن وعلم وصناعة لعرفت كيف تستفيد من كنوز هذا البلد أو على الأقل لتعلمت من بلاد لا تملك من فيوض الطبيعة ومسار التاريخ وآثار الأديان الثلاثة ، ما نملك وأصبحت السياحة فيها مورد مورد رزق ومصدر غنى ...

* * *

عندما كتبت عن المازنى كتابا ، صورت البيئة المصرية فى طفولة المازنى حين كان الشعب يئن من قهر الأجنبي فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ...
وحيث أكتب عن العشرين الأولى من النصف الثانى للقرن العشرين أجدنى فى الموقف نفسه أى ما كتبتة هناك ينطبق هنا :
قلت فى كتابى « أدب المازنى » .

(ولما كان نظام الحكم فى مصر نردينا فى كل عصورها قبل أن يضع لها دستورا ، ومثل هذا الوضع لا يستقر فيه الحالة الاقتصادية لأنها لا تخضع للتداول الطبيعى وإنما تخضع للرغبة التحكيمية المفضة ... فإذا كان الحاكم حازما جادا ضرب على أيدى العابثين واستقر الأمر له .. وإذا كان ذا نظر عملى بعيد

يدرك شيئا من حال البلاد المحكومة من الناحية الاقتصادية ماد:
ذلك بالخير على الحياة .. فالحكومة قوامها شخصية الحاكم
إذا صلح استقامت الحياة وإذا استبد كان وبالا على المحكومين ..
وهذا يفسر شعور المصريين بأن مفاجآت الدهر لا حد لها ، ولا عجب
فيهم مهددون ليس عندهم من الضمان ما يجعلهم يمشون في
عملهم ليجنوا الثمرة أو يجنيها بنوهم . ومثل هذه الحالة تؤدي
الى شيء من النهم في الحياة الاقتصادية والخلقية .. وتغري
بالكسب بأي وسيلة مشروعة كانت أم غير مشروعة ما دامت المسألة
غلانيا فلا توازن بين الفرص وانما الغرض هو الوصول من اقصر
الطرق . والنتيجة الحتمية لذلك هي ايجاد فروق غير مهيبة ..
ايجاد نظام الطبقات .. ايجاد طبقة غالبة وطبقة مغلوقة . والاثار
الطبيعية لهذا كله أن تنقطع الصلة بين طبقات المجتمع وتتلوث
الحالة النفسية للشعب فلا ثقة نفسية تقرب بعضه الى بعض أو
تشيع فيه التعاطف النفسي فيتدافع الى شيء من تواد أو تراحم
يخفف من جدة غرائز التهلك والافتناء والسيطرة السائدة فيه .

وهذا الوضع المادي أثر للوضع السياسي .. وكلاهما أثر في
الوضع الادبي .. ومثل هذه الحياة التي نلقى ظلالا من الشك
في العدالة ، تلقى في الروح أن الارض ليست مجالا لحق يسود
لان الثقة في كل نظام ذاهبة ، وتوهم أن الحياة الدنيا شقاء ومحنة
والفرار منها أمنية ، والنقص فيها محتوم .. ولهذا الشك واليأس
اثره العقلي والعقلي والنفسى والوجداني .

اما الاثر العقلي فيبدو في ذلك الطابع الغيبي في التفكير والذي
يتمثل في مثل قولهم عقب كل شيء ... هكذا أراد الله .

اما الاثر العملي فيبدو في الخفاء والاحتيايل الذي كان يسود
الحياة في مصر ، فالمهارة في التخفى كانت الطريق الى النجاح في
الحياة العملية . والرغبة في التخفى لها انعكاسات في الاثاث المصري

والابنية المصرية الى عهد ليس ببعيد ففى الاراتك والاصونة سراجيب
متداخلة ، وفى البيوت القديمة لاترى شرفات ظاهرة بل «مشرقيات
حاجبة» فالحياة المصرية كلها كانت قائمة على التخفى بل ان طائفة
الاخفاء التى يتردد ذكرها فى اناصيصنا هى انعكاس لهذه الرغبة فى
التخفى .

. والقرية المصرية تتجمع بيوتها وتتساند حتى ليسهل الوثب من
سطح بيت الى آخر ، بينما القرية الغربية متناثرة ، وتجمع بيوت
القرية المصرية حتى لتبدو قطعة واحدة انما هو انعكاس للخوف
حتى اذا استنجد أحدهم لى الجميع ...

أما الاثر النفسى فيبدو فى النفوس التى لوئها الشك والياس
والحيرة ... يبدو فى النفوس التى سلبت الطمأنينة والراحة
ففقدت بذلك كل شىء وأصبحت حياتها جحيما لا يطاق .

أما الاثر الوجدانى فيبدو فى الادب الذى أسف مكذب حين مدح
الظالم وهو ينقم عليه .

هذه الحياة العقلية والنفسية والوجدانية حدثت الى اضطهاد
الفلاسفة والعلماء لمحض التفكير مع أن الفلسفة الاسلامية قوامها
التوفيق بين الدين والعلم ولكن الناس ليس فى نفوسهم ما يوحى
الثقة بهذا ... هم لا يؤمنون بأن الحياة تجرى وفق نوااميس ثابتة
بل كل شىء عندهم قابل للتغيير ، والكون على حد تعبيرهم بين
أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء والفن قائم على هذا
وفيه منه أصداء فما نراه من شكوى الزمان ومدح الحاكم المذنب
فى الادب الكاذب ، والاغاني المهرجة ، وترديد الشعب لمثل هذه
الأمثلة (تبقى نار تصبح رماد) و (ان حلى زائد كله كله) فالادب
العامى الذى هو ادب الشعب وظل نفسه يتم عن حيرة وقلق نفسى
ينتهى الى التفويض والتسليم بقضاء الله ومهاكان الله ليقضى بهذا .
.. واغلبنا لا يفهم المعنى الدينى فهما قريبا ... فان قرأت عليهم :

(ليس للانسان الا ما سعى) فهموها الى جانب غيرها من آيات التوكل فتغلب عليها .. والمحافظون من اهل الاديان يميلون الى انكار السببية فالآية الكريمة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) « سورة فاطر » الباء في رأيهم للالصاق لا للسببية ... وهم يفسرون كل شيء يجرى تحت عيونهم بوحى هذه الغيبية التى يعتنقونها ...

حتى شكوى الزمان كانت صورة لفهمهم الخاطيء للحياة فهم يتوهمون أنه لا يدوم سرور أو حزن ... ولهذا ظل وأثر عالق فينا الى اليوم...يضحك المسرور منا ثم يقول: اللهم اجعله خيرا كأنه يتوقع الشر ما دام سر حيناً ، وكأن الشر فى أعقاب الخير المساذ ؟ ومن سوء فهمهم حملهم معنى (أن شاء الله) على التواكل ... ان هذه المشيئة ان هى الا تأكيد للعزم فانا سوف افعل كذا ثم هناك صهام لمن لما يطرأ مما لاقدرة لنا عليه ... ولكن قائلنا يقولها حين ينوى الا يفعل متهريا ... وفى مشيئة الله عن الكذب منتدح ...

حين دهمنا الاستعمار أوهمنا مصريين وشرقيين اننا لاشيء ولا نستحق شيئا فتعددت ظواهر الاتهام فينا ... فان رأوا ناجحنا لا يعدون نجاحه عملا أو ذا أسباب معقولة بل هو عندهم طفرة ووثبة واعجوبة وأثر محاباة ومحسوبة أو حظ ، ونسينا ان الحظ توفيق من الله ... واذا رأوا فاشلا لا يردون فشله الى سبب ...

والى هذا الطابع يرجع اكثر عيوبنا فى الحياة والتصرف ... فنحن لا نمثق فى الديمقراطية لان الديمقراطية أساسها ثقة الفرد بنفسه وبكيانه وبحقه ، وقد عجزنا أو عجز الكثيرون منا عن فهم هذه المعانى . فتطلعوا الى الآخرة تهريبا من الدنيا ... ولما كان الزهد أقرب طريق الى الاستعلاء فقد تعددت أسبابه وكثرت مظاهرها من مخرقة وحرمان وعجز . وكان لهذه الغيبية أصداء فظهرت

مذاهب وفرق وطرق للصوفية وإشباير ... وزاد الاقبال على
الاضرحة وتسرب الخطأ في المفاهيم الى مفهومنا للولاية والاولياء...
مع أن الولي قيمة معنوية تجسد كل ما في عالم الانسان الاعلى
من نيل وسمو وتضحية وفداء ...

لقد وصفت بهذه السطور ، الفترة من أواخر القرن التاسع
عشر وأوائل القرن العشرين فهل اختلف واقع الحال عن هذا ؟
قاس أن يضيع من عمر أمة سنين .

والآن :

لا وقت للتحسر

اعيدوا تشكيل الحاضر

واختصارا للوقت والجهد

انفتحوا على العالم المتحضر

خذوا خير ما عند الناس بدون عقد

بلا استخذاء فقد أعطينا الغرب ، يوما .

وبلا استعلاء فنحن بشر قد نخطيء حين يصيب غيرنا .

نتقحص أنفسنا

ونواجه الحقيقة

نعيد كتابة التاريخ ؟

من جديد ..

هذا الكتاب كتبته بعد أن عشتة .. بعضه كان الما وبعضه كان
أهلا ، وبعض كان معنى يلوح في خاطر ثم يعز على التحقيق .

ولكنى بالوراثة والدراسة لم أياس فتاريخنا ملئء بالمحن
التي ارتفعنا عليها ، والأشواك التي تحدينها ، والدموع التي
جففناها ثم تصالحنا مع الفرح ، وسامحنا الجرح وصافحنا النعمة
كما تصفو السماء غب المطر .

الدين .. والفن .. والحضارة .. والعصرية .. والتراث ،
والدراسة واسلوب التعليم .. كلها موضوعات عشتها وشربتها من
الدراسة والتأمل والتفكير . وعرفت من الحياة والكتاب والبيت
والجامعة واقعنا فيها بتجاربه وأخطائه ومسئوليته ورؤاه .

وانصهر في نفسى هذا كله فغمست قلمي فيه بالصدق كله ،
وبمصريتى كلها أسجل الاسباب والعلل وأرسم المثل والامل واتمئل
اليوم والغد لنا ولأبنائنا .. أما الماضى فقد حمل جيلنا أوزاره وآثاره
لأنه لم يقو على التيار فجرفه التيار .

لقد سميت الكتاب (أعيدوا كتابة التاريخ) وقلبت الصفحات
كلها ، وعرضت نماذج من الأخطاء الكبيرة التى يندح ثمنها
الشعوب .. وقد يتورط في هذا الثمن الفادح أكثر من جيل . يغرمون
ليغفم الآخرون في الخارج أو الداخل .

وصبر الشعوب طويل ولكن حسابها عندما يحين ، عسير . ولم يعرف الصبر بعد الزمن الطويل ، شعبا كاظما عافيا وان يكن غير معاف ، كشمعنا ... ولكن الحليم اذا غضب ، يتغير التاريخ في محاولة جديدة للكتابة ترشد عليها الأحكام وأصحابها ، ويستقيم ميزان العدل استجابة لأمنية قديمة نادى بها في مصر ، يوما ، الفلاح الفصيح ...

ولكن يبقى بعد هذا أكثر من خط وضعت تحته خطا في هذا الكتاب للتمييز والتفكير : **ولكن المعالجة الكاملة سافرد لها كتابا قائما بذاته أتحدث فيه عن :**

(**الانفتاح الذى لم يذكره أحد**) أين ومتى ولماذا ؟ والذى لم ننفتح عليه ولم نذكره ، كبير خطر لو انتبهنا اليه وأخذنا به **سيتغير التاريخ على هذه الأرض ، بل ، ربما ، فى العالم .**

ما زالت هناك فى تاريخنا القريب والبعيد علامات استفهام حائرة لو قدر لها **الأسراء والأنزاء لغدت علامات طريق ...**

حين أختتم هذا الكتاب ، أعاهد الله والنيل أن **أبدأ كتابا يليه على طريق الشخصية المصرية وما يمكن أن تحقّقه لو انفسح الطريق وانفتح الأمل والعمل أمام قدراتها وحرّياتها ووسائلها :**

انه موضوعى الكبير وهمى الشاغل الى إعطيه أيامى حتى يعود الإنسان المصرى عزيزا كما بدأ .. فبدأ به التاريخ ؟

مكتورة نعمات أحمد فؤاد

في هذا الكتاب

[illegible]

دار الشروق

مطابع منكور وأولاده

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٧٦/٧٩٧٤

هذا الكتاب

دعوة كبيرة رائدة الى اعادة كتابة التاريخ في عملية
تنقية ، وتعمرية ، وتصحيح من الزيف والتضليل
والتحريف . وبهذا اضاف الكتاب الى المكتبة العربية ،
القضايا التي غابت عنها من تهيب الكاتبين أو تخرجهم ،
أو ضبابية الرؤية ، أو خوف المصير .

يقدم هذا الكتاب برؤية جديدة وأسلوب جديد معمق
ومكتنز ، على الفصوص في تاريخ مصر : ماذا فيه من
أخطاء وخطايا ، ومن هم الجناة الذين أرادوا إمة
التاريخ بلا تاريخ .. ؟ .. كيف يصنع الديكتاتور ؟
في عملية تشريح الماضي والحاضر ، صادقة وأمانة
وموضوعية ...

ناقش الكتاب : المفاهيم الثابتة في التاريخ بأبعادها
التاريخية محددا نصيبها من الصدق أو الوهم .
تناول الكتاب في روح علمية انسانية مفهوم مصر
للدين والفن ..

كما واجه الكتاب في دراسة نزيهة :

الأتباط والمسلمين
التحرر من الخوف وإبداع الحضارة
الدولة العصرية

كيف نعيش .. ماذا تعلم مدارسنا ؟

هذه بعض القضايا التي أثارها الكتاب في انطلاقة
رائدة وجراة متحررة من الخوف والعقد والتقليدية ،
والنفاق